



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

أثر السياق في التماسك النصي عند السيوطي

من خلال كتاب "الإتقان في علوم القرآن"

. دراسة في ضوء لسانيات النص .

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير تخصص : لسانيات عربية

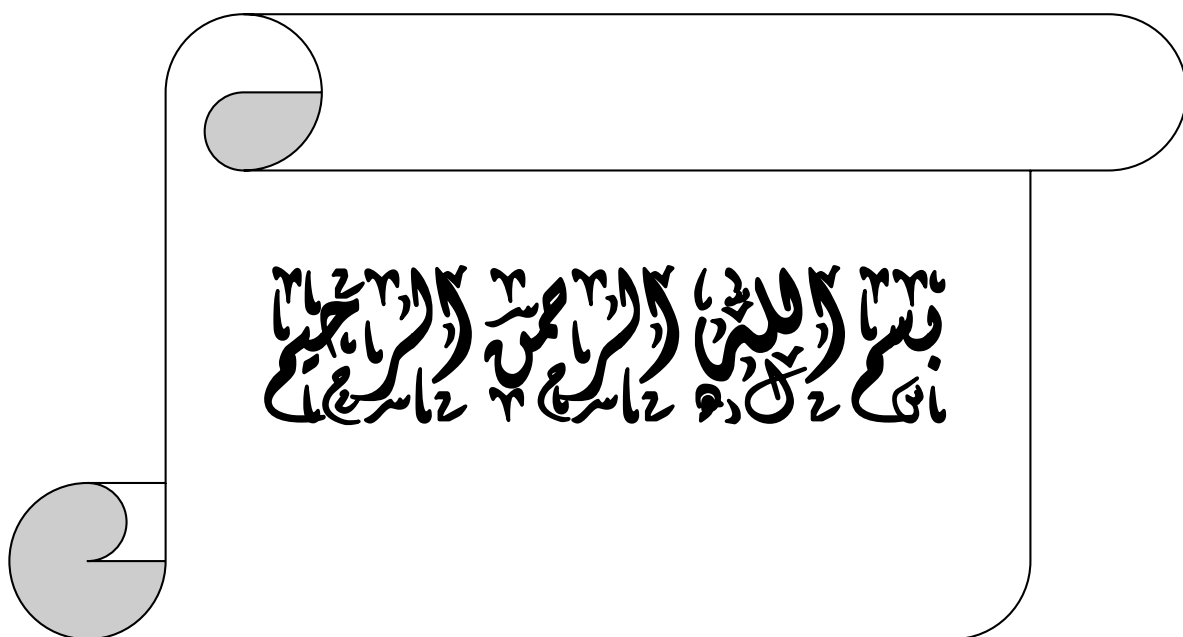
إشراف: أ. د الشريف ميهوبي

إعداد الطالب: وليد بوجلل

لجنة المناقشة :

الدكتور : فرحات عياش	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيس اللجنة
الدكتور : الشريف ميهوبي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مشرف ومقرر
الدكتور : السعيد هادف	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضو مناقش
الدكتور : محمد بن صالح	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	عضو مناقش

السنة الجامعية: 1436/1437 هـ — 2015/2014 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَآذِرُ الْمَيِّتِ

شكر وتقدير :

أقدم بالشكر إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما ، وإلى
الأستاذ المشرف الدكتور ميهوبي الشريف ، وإلى رئيس مشروع اللسانيات
العربية الدكتور "محمد بوعمامة" وإلى الأساتذة الذين رافقونا خلال فترة
الدراسة النظرية (الدكتور اخضر بلخير ، الدكتور عبد الكريم بورنان، الدكتور
الهودي مرداسي، الدكتور عز الدين صراوي، الدكتور عمار زرقين، والدكتور
نور الدين جبالي)، وإلى زملاء الدراسة وإلى أعضاء لجنة المناقشة على جهودهم
المذول في قراءة هذا العمل ومناقشته، وإلى الحاضرين في المناقشة، وإلى كل من
له يد في إنجاز هذا البحث .



مقدمة :

إن الإنسان بطبعه كائن معرفي يسعى دائماً لاستكشاف آيات الحقيقة، وقد ابتكر من أجل ذلك أنواعاً متعددة من التفكير، فسعى إلى دراسة وتحليل كل ما يراه من ظواهر تحيط به، ولما كانت اللغة أقرب الظواهر الاجتماعية المتعلقة به فعليه أن يصل إلى حقيقة اللغة ولا يتأتى له ذلك إلا من خلال دراستها وتحليلها .

لقد نشأ التفكير اللساني منذ القديم في حلقة من التطور والتجدد، حتى مطلع القرن العشرين مع ظهور اللسانيات الحديثة التي جاءت بمنظومة مفاهيمية ومنهجية غيرت مجرى الفكر اللساني وأسست لمراحل جديدة في الدراسات اللسانية وبقيت حركة التجدد مستمرة؛ فبعدما كانت الجملة المحور الأساسي للبحوث اللسانية باتخاذها وحدة لغوية مركزية للتحليل والدراسة، ظهر اتجاه جديد يدعو إلى توسيع قاعدة التفكير اللساني إلى مجال أوسع، و هو النص بكونه أكبر وحدة لغوية قابلة للتحليل .

تسعى اللسانيات النصية من خلال هذا التجديد إلى إعادة تأسيس البحث اللساني على النص واتخاذها قاعدة التحليل والدراسة، وربطه بكل ما يحيط به من سياقات مختلفة، فالتواصل البشري لا يتم على مستوى الألفاظ والجمال فقط، وبمعزل عن سياقاتها التي أنتجتها، وإنما ذلك يستدعي التواصل عبر النصوص؛ فالنص يمثل الوحدة الأساسية الناقلة للمعاني بوضوح أكثر مما تفعله الجملة .

تأتي أهمية هذا البحث في كونه محاولة للرجوع إلى التراث العربي والبحث عن ملامح الدراسات النصية فيه، خاصة وأن الحضارة العربية توصف بحضارة النص، فجاء

تحت عنوان: "أثر السياق في التماسك النصي عند السيوطي من خلال كتاب (الإتقان في علوم القرآن) . دراسة في ضوء لسانيات النص . " محاولة لاكتشاف أهم مظاهر تماسك النص القرآني في نظر علماء القرآن وذلك في إطار السياق المحيط بهذا النص، وقد كان سبب اختيار هذا الموضوع هو الرغبة في الاطلاع على ما قدمته علوم القرآن في قضية ارتباط النص القرآني وتماسكه.

إن تماسك النص القرآني وارتباط أجزائه بعضها ببعض قضية عُرضت في كتب الإعجاز القرآني قديما، ومثلت مظهرا من مظاهر إعجازه، فقد أولى علماء القرآن كتاب الله عز وجل عناية خاصة؛ فعكفوا على دراسته واستنباط مواطن الإعجاز فيه، وقد تناولوا ذلك في علم خاص سمّوه علم المناسبات؛ يبحث هذا العلم في كيفية ترابط أجزاء القرآن بعضها ببعض وتماسكها، ومن أهم من تناولوه بالدراسة والتحليل " الإمام جلال الدين السيوطي " في العديد من مؤلفاته والتي من أهمها "الإتقان في علوم القرآن".

إن السيوطي في مؤلفه هذا لم يدرس القرآن الكريم بمعزل عن سياقه الذي أنزل فيه، وإنما كانت دراسته مقترنة بذلك السياق، فكان له أثر في بيان كيفية الترابط بين الآيات والسور، وقد وقع الاختيار على هذا الكتاب ليكون مدونة للبحث وذلك لأن :

. علوم القرآن بلغت أوجها معه، فهو جامع لما سبقه من مؤلفات في هذا المجال، كما يعد من أشهرها.

. يعد السيوطي من خلال هذا الكتاب من أبرز المنظرين لعلم المناسبات الذي يعتبر من صميم التحليل النصي في التراث العربي .

. إضافة إلى ذلك يعد "الإتقان" كتابا نظريا وتطبيقيا في آن واحد؛ فهو من جهة يقدم علم المناسبات في قالب نظري، ومن جهة أخرى يعطي نماذج تطبيقية عنه من القرآن الكريم.

نسعى من خلال هذا البحث إلى:

. الكشف عن أثر السياق في تماسك النص القرآني في نظر السيوطي.

إبراز جهود علماء القرآن و إسهاماتهم في مجال الدراسات النصية قديما.

. محاولة الكشف عن مظاهر اتساق النص القرآن وانسجامة من خلال علوم القرآن .

ومن خلال هذه الأهداف تتبادر إلى ذهن عدة تساؤلات:

. إذا كانت الحضارة العربية حضارة النص فهل من الممكن أن تخلوا تلك الدراسات التراثية

المتعلقة بالقرآن الكريم من ممارسات نصية تهتم بتحليل هذا النص مقترنا بسياقه الاجتماعي

والثقافي ؟

. ما المقصود بالسياق؟ وما مكانته في دراسات علوم القرآن من خلال "الإتقان"؟

. ما دوره في بيان كيفية ترابط النص القرآني ؟

. ما المقصود بعلم المناسبات ؟ وما علاقته بالتماسك النصي ؟

. ما العلاقة بين السياق وعلم المناسبات ؟

. ما دور السياق في بيان تماسك النص القرآني وارتباطه عند السيوطي ؟ وكيف له أن يؤثر

في اتساق النص وانسجامة على مختلف مستوياته اللغوية؛ الصوتي والمعجمي والتركيبية

والدلالي ؟

. ما هي أهم الأدوات والوسائل التي اعتمد عليها السيوطي في الإتقان لبيان اتساق النص

القرآني وانسجامة ؟

و من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات اتبع البحث المنهج الوصفي بالاعتماد على إجراءات الاستقراء والتحليل ، وقد ارتسمت في ذهني خطة شاملة للموضوع؛ اتضحت معالمها كالتالي:

مدخل: يحمل عنوان " لسانيات النص وعلوم القرآن " تحدثت فيه عن مفهوم لسانيات النص ونشأتها، ثم مفهوم النص عند القدماء، وفي الدراسات النصية الحديثة ، ثم انتقلت إلى بيان مفهوم علوم القرآن وعلاقتها بلسانيات النص، ولمحة موجزة عن مدونة البحث وحياة صاحبها .

الفصل الأول: جاء تحت عنوان: السياق القرآني والتماسك النصي، ويشمل أربعة مباحث:

المبحث الأول: حول مفهوم السياق في المعاجم اللغوية وفي الدرس اللساني الحديث ، أما المبحث الثاني فكان حديثاً عن السياق عند السيوطي وعلماء القرآن، والمبحث الثالث أنواع السياق القرآني ، والمبحث الرابع حول التماسك النصي ؛ مفهومه وأدواته ودور كل من السياق والمتلقي في تحقيق التماسك النصي .

الفصل الثاني : أثر السياق في بيان مناسبة الآيات والسور في الإتيان.

قسمته إلى ستة مباحث : المبحث الأول في مفهوم المناسبة وأهميتها وأشهر من ألف فيها ، والمبحث الثاني علاقة علم المناسبات بالسياق، والمباحث المتبقية كانت بيانا لأنواع المناسبات ؛ فمنها المناسبة بين الألفاظ والمناسبة بين الآيات، والمناسبة داخل السورة الواحدة والمناسبة بين السور .

الفصل الثالث : خصصته للحديث عن أهم مظاهر التماسك النصي في الإتيان ، وقد جاء في أربعة مباحث؛ كل مبحث منها يتضمن مستوى من مستويات التحليل اللغوي وهي : المستوى الصوتي والمعجمي والتركيبى والدلالي، حيث تتعلق المستويات الثلاثة الأولى بالاتساق النصي ، أما المستوى الرابع فيتعلق بالمبادئ التي يتحقق بها الانسجام.

خاتمة : فيها عرض لأهم النتائج التي وصل إليها البحث.

لقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث . إضافة إلى مدونة البحث . على مجموعة من المصادر والمراجع منها ما هو تراثي ومنها ما هو حديث؛ أما التراثية فمنها:

. تناسق الدرر في تناسب السور ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

. البرهان في علوم القرآن للزركشي .

. تناسق الدرر في تناسب السور للبقاعي.

. تفسير الكشف ومعجم أساس البلاغة للزمخشري .

. تفسير القرآن العظيم لابن كثير

أما الدراسات الحديثة فمنها :

. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي.

. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي إبراهيم الفقى.

. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : سعيد بحيري.

. نظرية النص نقد النظرية وبناء أخرى: عمر أبو خرمة.

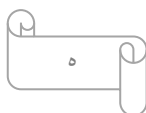
. مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته: محمد الأخضر الصبيحي.

. النص والخطاب والإجراء: روبيرت دي بوجراند.

. نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية: المثني عبد الفتاح.

. دلالة السياق: ردة الله بن ردة الطلحي.

. علوم القرآن بين البرهان والإتقان: حازم سعيد حيدر.



. دراسات في علوم القرآن: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

. مفهوم النص في التراث اللساني العربي: بشير إبرير، مجلة دمشق العدد الأول، 2007م .

و استفدت من بعض الرسائل العلمية مثل:

. التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة: عيسى جواد الوداعي، رسالة دكتوراه
الجامعة الأردنية 2005م.

. آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي: سعيد بولنوار، رسالة دكتوراه
جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2012 م.

. الاتساق والانسجام في القرآن الكريم: مفتاح بن عروس، رسالة دكتوراه في لسانيات النص
جامعة الجزائر 2008م.

وفي الختام أحمد الله على أن وفقني لانجاز هذا البحث، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى
الأستاذ المشرف الدكتور "الشريف ميهوبي" على توجيهاته وعلى الجهد الذي بذله معي من
أجل إتمام هذا العمل، وإلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما.

والله الموفق

2014/12/31 م . القيقبة باتنة .

. وليد بوجلال .

مدخل : لسانيات النص و علوم القرآن

تمهيد

أولاً: لسانيات النص

أ . مفهوم لسانيات النص

ب . نشأة لسانيات النص

ثانيا : مفهوم النص

أ . في التراث العربي

ب . في الدراسات النصية الحديثة

ثالثا : علوم القرآن

أ . ماهية علوم القرآن

ب . علوم القرآن ولسانيات النص

رابعا : الإتيقان في علوم القرآن

أ . جلال الدين السيوطي

ب . الإتيقان في علوم القرآن

تمهيد:

بلغت الدراسات اللسانية في العصر الحديث درجة كبيرة من النضج في مختلف مستوياتها التحليلية: الصوتية، الصرفية، التركيبية والدلالية، و بقيت في حركة مستمرة من التطور والتجدد، ومع ذلك فاللسانيات بمختلف مسوياتها وتعدد مدارسها كانت كل جهودها منصبة حول الجملة وقضاياها باعتبارها أكبر وحدة قابلة للتحليل والدراسة.

هذا التمحور حول الجملة دفع ببعض اللسانيين إلى التفكير في توسيع دائرة التحليلات اللسانية للخروج من نطاقها؛ فكان النص القاعدة الأوسع لاحتضانها باعتباره " وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها " ¹، وأصبحت قاعدة البحث اللساني وموضوعه هو النص، "ومن أجل ذلك قامت لسانيات النص فأحرزت تقدما على نفسها بعد أن كانت حدود الدرس مقصورة على لسانيات الجملة " ² فشكلت بذلك "حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي في اللسانيات الحديثة " ³.

إن التطور الذي مسّ اللسانيات كان بانتقال موضوع دراستها من الجملة إلى النص، فاعتُبر ذلك بمثابة "التحول الأساسي الذي حدث في السنوات الأخيرة في الدراسات اللسانية لأنه أخرجها من مأزق الدراسات البنوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية البنوي والدلالي والتداولي" ⁴، فكانت اللسانيات النصية منهجا جديدا لدراسة اللغة عبر النصوص في مواقفها المختلفة، وذلك من أجل وصف وتحليل كل ما تقتضيه عملية التواصل من ربط الحدث التواصل (النص) بكل ما يحيط به من سياقات اجتماعية وثقافية .

¹ نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية ، جدار للكتاب العلمي ، عمان (الأردن)، ط1، 2009م، ص49.

² منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب (سوريا) ، ط2، 2002م ، ص136.

³ نعمان بوقرة ، المرجع نفسه ، ص09.

⁴ خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، ط2، 2010م، ص167.

أولاً: لسانيات النص Texte Linguistique

أ / مفهوماها: قبل الحديث عن مفهوم لسانيات النص تجدر بنا الإشارة إلى أن هناك تعددا في استعمال المصطلحات الدالة على هذا المفهوم ، ومن أبرزها "نحو النص"، "علم اللغة النصي"، "لسانيات النص"، إلا أن هناك شبه اتفاق على أنها ذات دلالة واحدة؛ فنجد مثلا كل من "نعمان بوقرة"، و"عبد الرحمن بودرع"، و"الأزهر الزناد"، و"سعد مصلوح" يرادفون بين "نحو النص" و"لسانيات النص"¹، كما نجد أيضا "أحمد عفيفي" يجعل المصطلحات الثلاث ذات دلالة واحد؛ وذلك بقوله: "وعلى هذا تكون لسانيات النص تعني علم اللغة النصي، أو نحو النص"²، وهناك من الدارسين من يميل إلى الأخذ بأحد المصطلحات دون آخر.

تعتبر لسانيات النص فرعاً " من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه ، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي "Textuel Contexte"، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق المكتوب على السواء"³، وتحيط به من جوانبه المختلفة؛ سواء من حيث بنيته الداخلية أو من حيث ما يحيط به من سياقات ، أو من حيث الإجراءات المستعملة كوسائل للتحليل النصي، أو الأطراف المشاركة في إنتاجه وفهمه ، ومن خلال هذا التكامل بين النص والمشاركين فيه وسياقاته المختلفة تتجلى " أهمية التحليل النصي لأدراك الدلالة التامة للنص"⁴.

¹ ينظر :- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص140. - عبد الرحمن بودرع: في لسانيات النص وتحليل الخطاب (نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم) بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية 2013/02/16م، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية . - الأزهر الزناد: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، ط1993، ص15. - سعد مصلوح: نحو أجرامية للنص الشعري (دراسة في قصيدة جاهلية) ، مجلة فصول مجلد 10 ، عدد 1-2 (1991) ، ص153.

² أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة (مصر) ط2001م، ص32.

³ صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية في السور المكية) ج 1، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط2000م، 1431هـ، ص36.

⁴ المرجع نفسه ص15.

إن أهمية الدراسات النصية تظهر من خلال وصف "العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بكل مستوياتها المختلفة؛ نحوية كانت أم دلالية من جهة ، وبحثاً لأشكال التواصل واستخدام اللغة والسياقات المختلفة من جهة أخرى"¹، ولذلك سعى علماء النص إلى إيجاد "نموذج نصي يمكن أن يقدم تصورات أساسية للوصف والتحليل، أو محاولة التوصل إلى نظرية نصية كلية قادرة على استيعاب الأشكال النصية المختلفة"².

يبدأ التحليل النصي من البحث في الوحدات الأساسية المكونة للنصوص "وإظهار أوجه التماسك بين هذه الوحدات والكشف عن علاقات الربط النحوي والترابط الدلالي والعلاقات الإحالية و الإشارية، وغيرها من العلاقات المتمثلة في مستوى الجملة من جهة، والمتجاوزة مستوى الجملة من جهة أخرى"³ إلى العلاقات الرابطة بين الجمل المتتالية المشكلة لنسيج النص ، لتنتقل إلى الربط بين البنية الداخلية للنص وما يحيط به من سياقات خارجية ، وتبحث في العلاقات الرابطة بين المستويات المختلفة للنص (التركيبية ،الدلالية ،التداولية) حيث يؤدي عزل هذه المستويات بعضها عن بعض " إلى نتائج جزئية مبتورة، وبما أن النص وحدة كلية كبرى، فإن دراسة أصواته وصرفه ونحوه ودلالاته ليس كافياً، بل يجب أن تراعى العلاقات الجوهرية بين تلك المستويات ومفاهيم السياق العام والاتصال"⁴، وبهذا يوضع النص في سياقه التواصل الذي أنتج فيه، ويربط هذا السياق بما ورد في النص؛ دون إغفال دور المتلقي في عملية التحليل والدراسة .

ب . نشأة لسانيات النص :

لكل مرحلة من مراحل التفكير اللساني مرجعية فكرية تستند إليها بما في ذلك لسانيات النص التي لم تتطرق من فراغ، بل سبق وأن كان لظهورها أسباب وإرهاصات؛ ولعل أهم هذه الأسباب تكمن في انحصار التفكير اللساني ومركزية الجملة؛ أدى ذلك إلى ضرورة

¹ سعيد حسن بحيري : علم لغة النص ، الشركة المصرية لونجمان، مصر، 1997م ، ص220.

² المرجع نفسه ، ص66.

³ المرجع نفسه ، ص85.

⁴ المرجع نفسه ، ص98،

تحرر المعتقد اللساني من التمرکز حولها والدعوى إلى ضرورة التوسع في دوائر التحليل والدراسة.

إن اللغة وطريقة التواصل بها لا يمكن أن تتم على مستوى المفردات والجمل فقط؛ وبمعزل عن سياقاتها التي أنتجتها، وإنما ذلك يستدعي التواصل عبر النصوص في سياقاتها الاجتماعية والثقافية المختلفة، باعتبار أن النص يمثل "الوحدة الناقلة للمعنى بوضوح أكثر مما تحمله الجملة"¹، وباعتبار أن "الجملة ليست هي الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية، بل النص هو وحدة التبليغ والتبادل"²، فالاستعمال الفعلي للغة لا يتم في شكل كلمات محددة أو جمل فحسب، بل يكون في شكل تواصل بالنصوص بمختلف أحجامها؛ بداية من الكلمة المفردة حتى سائر أنواع النصوص من حوارات وغيرها، فمثل هذه الاستعمالات التواصلية تمثل "أشكالا خاصة من أشكال استعمال اللغة"³، كما تعد النصوص باختلاف أنواعها وأحجامها من أبرز مظاهر التواصل البشري، ولذلك لا مناص من الولوج في عالم النص لاستكشاف أغواره وكيفية التواصل المنشودة منه باتخاذ اللغة وسيلة لذلك .

إضافة إلى هذا يقدم تمام حسان تبريرا لانتقال البحث من مجال الجملة إلى مجال النص؛ في مقدمة الكتاب الذي ترجمه لمؤلفه (روبيرت دي بوجراند) "النص والخطاب والإجراء"؛ حيث يقول: "والاتصال لا يتم بوصف الوحدات الصغرى صوتية وصرفية، ولا بعرض الوحدات النحوية، وإنما يتم باستعمال اللغة في موقف أدائي حقيقي، أي بإنشاء نص ما، وقد يطول هذا النص ويقصر"⁴. كما نجد أيضا محمد الأخضر الصبيحي يبرر هذا التحول اللساني بقوله: " من الأسباب الأخرى التي دعت إلى الانتقال بالبحث إلى مستويات

¹ ردة الله بن ردة الطلحي: دلالة السياق، منشورات جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ، ص235.

² خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص168.

³ تون ألان فان ديك: النص بُنى ووظائف، مدخل أولي إلى علم النص، ترجمة منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب) ط1، 2004م، ص139.

⁴ ينظر روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1481هـ / 1998م، ص4.

تتجاوز الجملة، هو أن هذه الأخيرة نالت كفايتها من التمهيد والدراسة من جميع نواحيها، وأن الوقت قد حان للانتقال إلى دراسة ظواهر لغوية أخرى هي النصوص بجميع أنواعها ¹.

أما الإرهاصات الأولى لهذا الاتجاه فقد بدأت مع اللغوي (زليج هاريس Z. Harris) عندما قدم "بحثاً بعنوان (تحليل الخطاب) 1952م، واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي ²، فكانت هذه بداية المحاولات "التي تلمح إلى أنه ينبغي للنص أو الخطاب أن يكون أساساً لهذه الدراسات اللسانية" ³، ومن أبرز الذين أشاروا إلى ذلك : دال هيمز 1960م، هارتمان 1964م، فاينريش 1966م وغيرهم ، إلا أن هذه المحاولات . في رأي دي بوجراند . "لم تؤثر في مسيرة اللسانيات المألوفة ولم تصل إلى دراسة النص كاملاً" ⁴.

بعد هذه المحاولات تبلورت أفكار جديدة وظهرت بحوث أخرى في مجال التحليل النصي، و ذلك خلال السبعينيات حيث البداية الفعلية لهذا العلم ⁵. حسب رأي سعيد حسن بحيري . كانت بداية هذه البحوث مع الدراسة الرائدة التي قدمها (هالداي ورقية حسن) (1976م) في كتابهما (الاتساق في اللغة الانجليزية) ، إلا أن هذه الدراسة انحصرت في إطار السبك وأساليبه المختلفة ، وفي عام (1977م) قدم الباحث الهولندي (فان ديك) في كتابه (النص والسياق) رؤية في التعامل مع النصوص ، حاول فيه إضافة مستوى ثالث في التحليل هو البعد التداولي ⁶ ، بعدما كانت محاولة هالداي ورقية حسن مقتصرة على الجوانب الشكلية والدلالية للنص ، فكانت هذه البداية إيذاناً بميلاد مرحلة جديدة جعلت اللسانيات تدخل " في طور آخر من أطوار التجدد التي عرفت منذ نشأتها " ⁷.

¹ محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1429هـ/2008م، ص66.

² صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص23.

³ روبرت دي بوجراند :النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان ، ص65.

⁴ المرجع نفسه ، ص65.

⁵ ينظر : سعيد حسن بحيري : علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، ص1.

⁶ ينظر حسام أحمد فرج :نظرية علم النص ، رؤية منهجية في بناء النص النثري ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط2002م، ص17.

⁷ الأزهر: الزناد نسيج النص، ص05.

وفي الثمانينات " أخذت الدراسات النصية تتحوا منحى جديدا ، وذلك على يد (روبيرت دي بوجراند) في كتابه (النص والخطاب والإجراء) إذ يوجه علم النص إلى التركيز على النواحي الاتصالية للعملية اللغوية ¹، حيث وضع مفهومها واسعا للنصية وحددها بقواعد ومعايير يتميز بها النص عن اللانص . ويرى الدكتور محمد الأخضر الصبيحي أن الدراسات النصية بلغت أوجها مع هذا اللغوي ².

أصبحت اللسانيات النصية في طريقها " للاستقلال على (يد فان ديك)، و(هالداي)، و(روبيرت دي بوجراند) وآخرين ³، مع العلم أن نشأتها وتطورها لم تتعلق ببلد بعينه ⁴؛ فقد تعددت منابعها كما تعددت وسائلها وإجراءاتها، ومع ذلك فالقاسم المشترك بين كل الدارسين باختلاف توجهاتهم وتعدد مدارسهم هو موضوعها الذي يتمثل في النص .

¹ خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر، عمان (الأردن) ط1، (1430هـ - 2009م) ص46.

² ينظر : محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، ص63.

³ أحمد عفيفي: نحو النص، ص34.

⁴ سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص101.

ثانيا: مفهوم النص : Text

أجمع الباحثون في الدراسات النصية أن الموضوع المعروض للدراسة والتحليل هو النص، غير أن الاختلاف بينهم كان حول ماهيته ، وهذا راجع إلى منطلقات كل باحث في نظرته إليه .

أ . النص في التراث العربي :

ورد مصطلح (النص) في المعاجم العربية بمعاني متعددة؛ فهذا صاحب "العين" يقول :
 " نصت الحديث إلى فلان نصا أي رفعته، والمنصة التي تقعد عليها العروس، ونصت ناقتي رفعته في السير، و النصنة: إثبات البعير ركبته في الأرض وتحركه إذا هم بالنهوض، ونصت الشيء أي حركته، ونصت الرجل: استقصيت مسأله عن الشيء، يقال نصّ ما عنده أي استقصاه، ونصّ كل شيء منتهاه"¹.

كما ورد في لسان العرب لابن منظور قوله : " النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا رفعه، وكل ما اظهر فقد نص... يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه، ونصت الظبية جيدها رفعته... ونص المتاع نصّا جعل بعضه على بعض... وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير سريع"².

يتبين لنا من هذا العرض أن (النص) في اللغة يقتضي دلالة عدة منها : الرفع و الإظهار والتحريك والثبات والاستقصاء وغاية الشيء، وكذلك نوع من السير ، وجعل المتاع بعضه فوق بعض . أي الترتيب . أما في الاستعمال المعجمي الحديث فهو "صيغة الكلام الأصلي التي وردت عن المؤلف"³؛ ولعل هذا المفهوم أكثر المفاهيم تداولاً للفظ (النص) في الثقافة العربية الحديثة .

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (باب الصاد والنون) تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السمراني ج7، ص86-87.

² ابن منظور: لسان العرب، مادة (نصص)، ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث الجزائر، ج14/15، ط2008، ص154 .

³ إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للنشر، ط2، ص926.

رغم تعدد المعاني اللغوية للفظة عند القدماء إلا أن " المفهوم المركزي للنص في الثقافة الإسلامية هو الوحي"¹ بشقيه ، ومع ذلك فقد "يطلق على كل كلام مفهوم المعنى"²، أو كما قال الشريف الجرجاني "ما لا يحتمل إلا معنى واحدا ، وقيل ما لا يحتمل التأويل"³، وقد ورد لفظ النص للدلالة على هذا المعنى عند السيوطي في (الإِتقان) في مستهل حديثه عن منطوق القرآن ؛ قوله: " فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره : فالنص ، نحو: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة 196 "⁴ ، ولهذا تداوله الفقهاء والأصوليون على أنه " كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة... لأن ما ورد من صاحب الشرع نصوص، وهذا المعنى هو المراد بالنصوص في قولهم عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص"⁵، ومن ذلك " قولهم: نص القرآن ونص السنة ،أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام "⁶، ويبدو أن هذا الاستعمال الأخير مأخوذ من دلالاته المعجمية للفظة (الظهور).

ب . النص في الدراسات النصية الحديثة :

إذا كان لمصطلح (النص) دلالات محددة يتداولها المعجميون فإن دلالاته في الدراسات النصية الحديثة كثيرة ومتشعبة ، وسنحاول في هذا المبحث إبراد بعض مفاهيمه وذلك عند أشهر اللسانيين في حقل لسانيات النص .

نقل محمد خطابي عن (هالداي ، ورقية حسن) أن كل متتالية من الجمل تشكل نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات تربط بينها⁷، كما أن النص يشير إلى "أي فقرة

¹ نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص (دراسة ي علوم القرآن) المركز الثقافي العربي بيروت ، ط1998، ص4، ص31.

² أيوب بن موسى الحسيني الكفوي:الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)أعده عدنان درويش ومحمد المضري،مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت (لبنان) ط2، 1419هـ / 1998م ، ص908.

³ علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني :معجم التعريفات ،تحقيق محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة القاهرة ،ص203.

⁴ جلال الدين السيوطي : الإِتقان في علوم القرآن ، تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا ، دار عين مليلة - الجزائر - ج2، ص740 .

⁵ علي التهانوي : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،تحقيق علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت (لبنان) ط1996، ج2، ص(1695-1696).

⁶ ابن منظور لسان العرب مادة (نصص) ج 15/14 ، ص154.

⁷ ينظر محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ، ط1، 1991م ، ص13.

مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة¹، وعليه يتبين أن النص عند هالداي ورقية حسن يتميز بعدة مميزات أهمها :

. كونه متتالية من الجمل تربط بينها مجموعة من العلاقات .

. لا يتحدد بطول معين " فيمكن أن تكون كلمة واحدة مثل (صه) نصا كما يمكن أن تكون قصة أو رواية أو أي نص يشرح كيفية استعمال شيء ما أو محادثة نصا "2.

. لا فرق في كونه مكتوبا أو منطوقا .

. يشكل كلا متكاملا ذو اتساق بين عناصره ؛ وبهذا تكون الميزة الأساسية للنص هي الترابط.

أما (جون مشال آدم) فقد نقل عنه نعمان بوقرة نظرتة إلى النص في كونه " إنتاجا مترابطا متسقا ومنسجما وليس رصفا اعتباطيا للكلمات والجمل "3؛ والمركز الأساسي لهذا التعريف كونه يعتمد على التماسك النصي بالدرجة الأولى.

أما (فان ديك) فإنه يرى أن النص يجب أن يربط بين الشكل والمضمون للوصول إلى الغاية المرجوة منه وهي "الدلالة العامة"4، وهذا ما نجده مجسدا في نظرتة للنص بكونه "بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية دلالية عميقة"5، فالنص عبارة عن دلالة ضمنية تظهر من خلال البنية السطحية له .

إن مفهوم النص عند (فان ديك) يعتمد في الأساس على الترابط أو التماسك الحاصل بين بنيتين مختلفتين؛ إحداهما سطحية تظهر من خلال تتابع جمل النص لتشكيل بذلك "الأبنية الصغرى"6، وأما الأخرى فعميقة ويسميتها " البنية الكبرى"1، أي الموضوع العام

1 أحمد عفيفي: نحو النص، ص22.

2 مفتاح بن عروس : الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في لسانيات النص، إشراف زبييري سعدي و الحواس مسعودي ، جامعة الجزائر 2007/2008م، ص153.

3 ينظر نعمان بوقرة المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، ص10.

4 فان ديك علم النص :مدخل متعدد الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتب (مصر) ط2001، م1، ص75.

5 زيتسلاف و أورزنيك :مدخل إلى علم النص(مشكلات بناء النص) ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ط2003، م1، ص56.

6 فان ديك علم النص :ص74.

للنص الذي يظهر بفضل العلاقات الرابطة بين البنييتين، فيُكوّن بذلك "شبكة من العلاقات بين الألفاظ ومعانيها في بناء متناسق منسجم" ² ، مع مراعاة السياق الذي له دور أساسي في الربط بين أجزاء النص، ولذلك عندما تغيب الروابط الشكلية على المستوى السطحي يجب العودة إلى السياق المحيط بالنص، فمن خلاله تدرك الصلة بين الجمل التي لا تبدو بينها صلة³.

وهذا ما يؤكد (جون لاينز) بقوله أن النص ليس "مجرد وحدات متصلة مع بعضها البعض في سلسلة، وإنما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق، وعلى النص في مجمله أن يتسم بسمات التماسك والترابط" ⁴ ؛ فالسياق له دور في بيان تماسك النصوص وترابطها .

أما (برينكر) فقد نقل عنه سعيد بحيري أن النص "مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي ومتلقي له وقناة اتصال بينهما وهدف يتغير بتغير مضمون الرسالة وموقف اتصال اجتماعي ليتحقق فيه التفاعل" ⁵، فيكون النص بذلك عنصر أساسي في عملية الاتصال، ذلك أنه " ليس بناء لغويًا فحسب، وإنما يدخل ذلك البناء في سياق تفاعلي بين مخاطب ومخاطب " ⁶ .

أما (روبيرت دي بوجراند) فيرى أن الميزة الأساسية للنص هي الاتصال، وينظر إليه "على أنه وحدة كلامية مخصصة لأغراض الاتصال من خلال التفاعل بين مستويات مختلفة في البيئتين الداخلية والخارجية" ⁷ ، وقد نقل عنه الدكتور سعيد بحيري مفهومًا للنص؛ يرى فيه أنه: "حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير" ⁸، حددها

¹ المرجع نفسه، ص80.

² بشير إبرير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول، 2007م، ص107.

³ ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص102.

⁴ جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (العراق) ط1، 1987م، ص219.

⁵ ينظر سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص110.

⁶ رشيد عمران: مسار التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص (المؤتمر الدولي للسانيات النص بالمغرب) ص380.

⁷ يوسف نور عوض: علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة (السعودية) ط1، 1410هـ، ص12.

⁸ ينظر سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات نص146.

في كتابه (النص والخطاب والإجراء) تعرف بمعايير النصية؛ يستطيع القارئ من خلالها التمييز بين النص و اللانص وهي¹ :

. **السبك** : يتحقق من خلال وسائل وإجراءات تبدا بها العناصر السطحية في النص على شكل وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، تشتمل هذه الإجراءات على أمور مثل : التكرار و الإحالة والحذف والروابط ...

. **الحبك**²: يختص بالوسائل التي يتحقق من خلالها الترابط المفهومي في النص ، وتشتمل هذه الوسائل على :

- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص .
- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والمواقف .
- تفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة للعالم .
- . **القصد (القصدية)**: يتضمن موقف منشئ النص من كونه قصد به أن يكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام ، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل تحقيق غاية معينة .
- . **القبول (المقبولية)** : يتضمن موقف مستقبل النص إزاء النص، حيث ينبغي له أن يكون مقبولا من حيث هو نص ذو سبك والتمحام .
- . **رعاية الموقف (الموقفية)**: وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد .
- . **التناس** : يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة .
- . **الإعلامية** : تستعمل "الدلالة على مدى ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جدة وعدم التوقع"¹ .

¹ ينظر روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص(103-104-105).

² ترجمه تمام حسان بالالتحام ، ينظر النص والخطاب و الإجراء، ص103.

يعتبر ما قدمه "دي بوجراند" في مفهومه للنص ومعايير تمييزه من اللانص جامعا لكل ما ورد من خصائص في المفاهيم السابقة الذكر؛ إضافة إلى أنه يحيط بالعديد من جوانبه المختلفة سواء الشكلية أو الدلالية أو التداولية، كما أنه لا يهمل دور المتلقي والسياق .

هذه بعض المفاهيم السائدة والمتداولة حول النص في الدراسات النصية الغربية الحديثة، أما لفظة (نص) Texte فإنها تعني في أصلها اللاتيني النسيج²، ويبدو أن بعض الدارسين العرب المحدثين يستندون إلى هذا الاستعمال في نظرتهم للنص؛ وذلك ما نجده عند "الأزهر الزناد" الذي يرى أن مصطلح النص في العربية يتوفر على معنى النسيج؛ فهو عنده "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض"³، كما يحاول أيضا ربط مفهوم النص بما تشير إليه دلالاته اللغوية في المعاجم العربية القديمة (الظهور)، حيث يقول: "النص يطلق على ما به يظهر المعنى، أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي منه عندما يترجم إلى المكتوب"⁴.

وهناك بعض الدارسين العرب يميلون إلى الأخذ بما ورد عن (دي بوجراند) في مفهومه للنص، حيث نجد مثلاً: صبحي إبراهيم الفقى، إلهام أبو غزالة، سعد مصلوح، حسام أحمد فرج، وذلك بتصريح منهم، أما سعيد بحيري فإنه يستقي تعريفه للنص من المفهوم الذي قدمه (فان ديك) انطلاقاً من البنية الكبرى والبنيات الصغرى؛ حيث يقول: "النص إذا وحدة كبرى شاملة لا تتضمنها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، يتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالي المنطقية"⁵، كما يأخذ بهذا المفهوم

¹ إلهام أبو غزالة وعلى خليل حمد: مدخل إلى علم اللغة، مطبعة دار الكتاب نابلس (فلسطين)، ط1، 1992م، ص184.

² ينظر: فولفجانج هاينيه: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود (1419هـ - 1999م)، ص04.

³ الأزهر الزناد: نسيج النص، ص12.

⁴ المرجع نفسه، ص12.

⁵ سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص119.

أيضا الباحث نعمان بوقرة¹، أما خولة طالب الإبراهيمي فتري أن "النص منتج مترابط متسق ومنسجم وليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل"²، وهي بهذا تحدد النص بالاتساق والانسجام ، وهذا ما ذهب إليه (جون مشال آدم) .

تقودنا هذه الوقفة على مفاهيم النص في الدراسات النصية الحديثة إلى القول بأن مفهوم النص مفهوم زئبقي، يتغير بتغير درجة التفكير لدى كل باحث، وإلى منطلقاته الفكرية ومرجعياته المعرفية، سواء في بيئته الأم أو عند ارتحاله إلى الثقافة العربية الحديثة، ومع ذلك نجد أن معظم مفاهيمه رغم تباينها تركز على خاصية من الخاصيتين التاليتين: التماسك النصي ، والبعد التواصلية الذي يعتمد في الأساس على سياق الموقف .

ثالثا: علوم القرآن

أ / مفهوم علوم القرآن: عندما رتل الرسول . صلى الله عليه وسلم . أولى آيات القرآن الكريم على قومه؛ اتجهت الأنظار إلى هذا النص الجديد الذي لم يألوه في كلام العرب نقدا

¹ ينظر : نعمان بوقرة :مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب ،عالم الكتب الحديث ،إربد (الأردن) ط2008م،ص56.

² خولة طالب الإبراهيمي :مبادئ في اللسانيات ،ص169.

وتحليلاً ، حيث عكف المشركون على نقده ومحاولة الطعن فيه بغرض إبطاله والتشكيك فيه لما عرفوه من قوة تأثيره على العقول، واتهموه بالسحر ومنعوا الناس من سماعه مخافة إتباعه ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (26) ﴾ سورة "فصلت" ، وقد تحدّاهم الله عز وجل بأن يأتوا بمثله ؛قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) ﴾ البقرة، ولكنهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً رغم تفوقهم في فنون البلاغة والبيان ووقفوا أمامه عاجزين .

ومن الجهة الأخرى عكف الصحابة . رضوان الله عليهم . على حفظه وتلاوته وتدارسه ومحاولة تفسيره وتدبره وفهم معانيه ومعرفة مقاصده وأحكامه، وقد كانوا عرباً خلصاً يفهمون القرآن بمقتضى السليقة العربية، فإن أشكل عليهم معنى سأل بعضهم بعضاً أو سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينه لهم ، ومن خلال هذا تكون علوم القرآن قد نشأت في وقت مبكر من الإسلام ذلك أن حفظه وتلاوته وتدبره وتفسيره من أهم علوم القرآن ¹.

والمراد بعلوم القرآن تلك المباحث التي " تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءته وتفسيره وناسخه و منسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك، ويسمى هذا العلم بأصول التفسير لأنه يتناول العلوم التي يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها " ².

لقد تكلم الصحابة في مباحث تتعلق بعلوم القرآن ونقلوا جوانب منها عن سيد المرسلين . صلى الله عليه وسلم . وتلقاها منهم التابعون وأضافوا إليها استنتاجاتهم ، ثم دونت هذه العلوم كل منها لوحده أثناء حركة التدوين والتصنيف، ثم تطور الأمر إلى تصنيف مجموعة

¹ ينظر : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ،دراسات في علوم القرآن ،مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض (المملكة العربية السعودية) ط14 (1426هـ/2005م) ص34.

² المرجع نفسه ص32.

من هذه العلوم في كتاب واحد، وبقيت هذه الأبحاث أو العلوم يتزايد عددها حتى بلغت ذروتها في كتاب (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، فقد بلغت فيه ثمانين نوعاً¹.

ب / علوم القرآن ولسانيات النص :

لقد اهتم العلماء بالقرآن الكريم، وكرسوا جهودهم لخدمة هذا النص المقدس، ولذلك اقترن ظهور العلوم العربية بمختلف اختصاصاتها اللغوية وغير اللغوية (النحو، اللغة، البلاغة، الفقه، الأصول، التفسير وعلوم القرآن) بنزول القرآن الكريم، فانصببت تلك الجهود حوله دراسة وتحليلاً، وكان الهدف الأساس من هذه الدراسات هو " قراءة النص القرآني وفهم دلالاته وبيان إعجازه"²، و لما كان النص القرآني مركز دائرة هذه الدراسات ؛ وصفت الحضارة العربية الإسلامية بأنها "حضارة النص"³.

فإذا كانت هذه الحضارة حضارة النص؛ وحولها هذا الزخم من العلوم المتعلقة به ، فهل من الممكن أن تخلو هذه الدراسات من وجود ممارسات نصية ، تهتم بدراسة وتحليل هذا النص الكريم وهو أبرز مقوماتها ؟

إن أقرب علم يتصل بهذا النص مباشرة هو علوم القرآن، ولذلك كان لعلماء القرآن "النصيب الأوفر في مقارنة النص القرآني ، وذلك بتوظيف كثير من العلوم والآليات والأدوات التي تحيط بالنص الكريم من جوانب متعددة وتستكشف قيمه الدلالية وجوانبه الجمالية وعلاقاته الكلية، فكان هذا العلم مؤهلاً لأن يكون أقرب إلى النهج الذي سلكته لسانيات النص"⁴.

تعد مباحث علوم القرآن دراسات ذات منحى نصي لكونها تتعامل مع نص ، وهو النص المركزي في الثقافة العربية الإسلامية، ولا تقتصر على مستوى واحد من مستويات

¹ ينظر : حسن ضياء الدين عنز : مقدمة تحقيق كتاب فنون الأئمان في عيون علوم القرآن لعبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ) ، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان ، ط1، (1408هـ / 1987م) ص71.

² عبد الكريم الكردي :قراءة النص مقدمة تاريخية ،مكتبة الآداب القاهرة 5مصر- ط1، 2008 م، ص87.

³ نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن - المركز الثقافي العربي بيروت لبنان ، ط 4 ، 1998م، ص09.

⁴ عبد الرحمن بوردع ، في لسانيات النص وتحليل الخطاب (نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم) ص15.

التحليل اللغوية ، وإنما تمس جميع المستويات . فالتحليل النصي ليس بدعا في الدرس اللساني الحديث ، "بل وجدت بذوره في الدراسات القرآنية قديما ووجدت الكثير من الأدوات النصية التي تعد اليوم من أسس هذا العلم في كتابات القدماء" ¹ ، إلا أن لسانيات النص اعتمدت على "نصوص محددة مقيدة بقيود الزمان والمكان والظروف المحيطة والأخطاء البشرية" ² ، أما علوم القرآن فإنها تتعامل مع نص مطلق؛ نص إلهي بعيد عن الخطأ والنقص لا يحدده الزمان ولا المكان .

لقد تقطن العلماء العرب قديما إلى الكثير من الممارسات النصية المتعلقة بالقرآن الكريم ؛ سواء من ناحية التنظير أو من ناحية التطبيق ، فمؤلفات علوم القرآن تمثل الجانب النظري لهذه الممارسات النصية؛ حيث يعد كتاب (البرهان في علوم القرآن) للإمام (بدر الدين الزركشي ت 794هـ) ، وكتاب (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ) من أهم كتب علوم القرآن تنظيرا في هذا المجال ³.

كما تطرق علماء القرآن إلى عدة مباحث تعتبر من صميم البحث النصي ومن بين هذه المباحث :علم المناسبات الذي يبحث في ارتباط أجزاء القرآن وتماسكه ، وكذلك أسباب النزول ومباحث المكي والمدني التي تمثل السياق المقامي للنص القرآني، وقد استعملوا العديد من المصطلحات النصية مثل :التناسب، التلاحم ،الارتباط، النظم، الاتساق، الانسجام، المناسبة، السياق، السبك، الحبك، وحسن النسق، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، ومرجع الضمير... وأغلب هذه المصطلحات عبارة عن أدوات أساسية في التحليل النصي، وسيوضح لنا ذلك من خلال استقصاء كتاب (الإتقان في علوم القرآن) . إن شاء الله . .

أما الناحية التطبيقية للتحليل النصي فيعتبر " تفسير القرآن من أنضج مظاهره" ⁴ من بين الممارسات النصية في التراث العربي، ومن أهم التفاسير التي تمثل هذا الاتجاه : تفسير

¹ خليل بن ياسر البطاشي : الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص11 .

² عبد الرحمن بودرع : في لسانيات النص وتحليل الخطاب (نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم) ص14.

³ ينظر : نوال لخلف: الانسجام في القرآن الكريم - سورة النور أنموذجا - رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، إشراف محمد العيد رتيمة ، جامعة الجزائر (2006/2007م)، ص 123 .

⁴ خليل بن ياسر البطاشي : الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص11.

البقاعي الموسوم (بنظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، فهو يعد " من أبرز الكتب التي التفتت إلى قضايا نحو النص على مستوى التطبيق في التراث العربي " ¹، وكذلك (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي (الموسوم بمفاتيح الغيب) الذي يرى أن أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في ترتيباته وروابطه ² .

إن المتأمل في مصنفات علوم القرآن يلاحظ أنها تشمل مستويات التحليل اللغوية المختلفة: الصوتية، المعجمية، التركيبية الدلالية والتداولية ؛ فأما الصوتية فتلك المباحث المتعلقة بالقراءات وآداب التلاوة ورسم المصحف ، وأما المعجمية فمباحث غريب القرآن ولغاته وألفاظه الأعجمية الأصل، أما التركيبية فمباحث تتعلق بإعرابه والضمائر والتقديم والتأخير ... أما الدلالية فتلك المباحث المتعلقة بالعام والخاص والمجمل والمبين والمحكم والمتشابه ، أما التداولية فمباحث المكي والمدني وأسباب النزول .

إن الغرض من الحديث عن هذه المستويات عند علماء القرآن في مؤلفاتهم هو محاولة الإحاطة بهذا النص من مختلف نواحيه الداخلية والخارجية؛ وذلك من أجل فهمه وإدراك دلالاته للوصول إلى مقاصد الله عز وجل ومراده من هذه الرسالة الموجهة للبشر. وعليه فعلماء القرآن لم تكن دراستهم لهذا النص مقتصرة على مستوى معين دون الآخر، وإنما فصلوا القول في كل المستويات وحاولوا الربط بينها لمعرفة كيفية تأثير مستوى على الآخر من أجل إدراك الدلالة العامة للنص، فجاءت نظرتهم إلى القرآن الكريم نظرة كلية، أكدوا من خلالها الترابط و" المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة، وكلمات الجملة الواحدة، وجمل النص الواحد، ونصوص القرآن كله " ³، فجاءت تحليلاتهم شاملة للقرآن كله وعلى مستوياتها المختلفة .

رابعا : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

¹ عمر أبو خرمة : نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى ، عالم الكتب الحديث إربد (الأردن)، ط1، (1425هـ/2004م) ص48 .

² ينظر : السيوطي الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 976 .

³ صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص 50 .

أ . جلال الدين السيوطي : هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين؛ لقبه جلال الدين، كما يلقب بابن الكتب؛ لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب فجاءها المخاض وولدت بين الكتب .

ينسب إلى بلدة أسيوط فيقال السيوطي؛ ولد في القاهرة عام (849هـ)، توفي والده وله من العمر خمس سنوات وتولى رعايته صديق أبيه الفقيه الحنفي "محمد بن عبد الوهاب" المعروف بابن الهمام (ت 861هـ)، أتم حفظ القرآن وهو لم يبلغ ثمان سنوات، ثم حفظ مجموعة من كتب العلم في الفقه والأصول والحديث واللغة وغيرها، كما تتلمذ عند المشاهير من علماء عصره¹؛ ذكر اثنين من شيوخه في الإتيقان هما: (علم الدين صالح بن عمر البلقيني الشافعي ت 868هـ)، (ومحمد بن سليمان محي الدين الكافيجي الحنفي ت 879هـ)².

تفرغ (السيوطي) للتأليف و انقطع عن الناس وترك الإفتاء والتدريس بعدما بلغ أربعين عاماً³، ثم مرض مرضاً شديداً بسبب تورم في ذراعه أدى به إلى الوفاة في التاسع عشر من جماد الأولى عام (911هـ / 1505م) ، بعد ما بلغ من العمر إحدى وستين سنة ، ودفن بالقاهرة⁴.

ترك "السيوطي" العديد من المؤلفات في مختلف العلوم ؛ ذكر بعضها في الإتيقان مثل (التحبير في علوم التفسير) و(لباب النقول في أسباب النزول)، وقد أشار المحقق في مقدمته أن للسيوطي نحو ستمائة مؤلف بين صغير وكبير وهذه بعضها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تناسق الدرر في تناسب السور (أسرار ترتيب القرآن) ، رسائل السيوطي في التفسير، لباب النقول في أسباب النزول، معترك الأقران، طبقات المفسرين، الاقتراح في

¹ ينظر حازم سعيد حيدر : علوم القرآن بين البرهان والإتيقان - دراسة مقارنة - دار الزمان للنشر ، المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) 1420هـ ، ص 44 وما بعدها .

² ينظر : جلال الدين السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن ، ص 7.

³ ينظر : حازم سعيد حيدر : علوم القرآن بين البرهان والإتيقان ، ص 52.

⁴ ينظر : المرجع نفسه ص 60.

أصول النحو، المزهر في علوم اللغة وآدابها، الأشباه والنظائر، تاريخ الخلفاء، التفسير الكبير ...

ب . الإتقان في علوم القرآن : ذكر في مقدمته أنه جعل "الإتقان" مقدمة للتفسير الكبير الذي أسماه (مجمع البحرين ومطلع البدرين الجامع لتحرير الرواية وتقدير الدراية)¹.

يعتبر كتاب (الإتقان) من أهم مؤلفات علوم القرآن؛ ومن أحسنها تأليفا وأكثرها استيعابا وشمولا² لكونه جامعا لما سبقه ومفصّلا في مباحثه ، وهذا سبب اختياره للدراسة، وقد اعتمد السيوطي في جمعه وترتيب مباحثه على العديد من المصادر ذكرها في مقدمته، وهي مختلفة ومتنوعة الاختصاصات ؛ فمن كتب علوم القرآن : فنون الألفان في علوم القرآن لابن الجوزي(597هـ) ، والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبي شامة(665هـ) ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، ومن التفاسير: تفسير ابن جرير الطبري (310هـ)(جامع البيان في تأويل آي القرآن)، وتفسير ابن كثير(774هـ) ، والكشاف عن حقائق غوامض التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (467 . 538هـ)، والتفسير الكبير(مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي (544 . 604هـ)... ومن كتب الأحاديث: صحيح البخاري ، ومن كتب القراءات: جمال القراء للسّخاوي(643هـ) ، النشر والتقريب لابن الجوزي (833هـ)، الوقف والابتداء لابن الأنباري(271 . 328هـ) ... ومن كتب اللغات والغريب والعربية: مفردات القرآن للأصفهاني(425هـ) ، غريب القرآن لابن قتيبة (613 . 676هـ)، المغني(مغني اللبيب عن كتب الأعراب) لابن هشام (761هـ) ، المحتسب في توجيه الشواذ والخصائص لابن جني(392هـ)، المعرب للجواليقي (540هـ)، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ومن الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة: إعجاز القرآن للخطابي(388هـ)، والباقلاني(403هـ)، ودلائل الإعجاز للجرجاني(471هـ)، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني(684هـ)، والعمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني(457هـ)، والصناعتين للعسكري(395هـ)... ومن الكتب الجامعة: بدائع الفوائد لابن القيم(691هـ).

¹ ينظر: الإتقان: ص 17.

² صلاح الدين أرقدان : مختصر الإتقان ، دار النفائس بيروت لبنان ، ط 1، (1407هـ/1987م)، ص 14 .

751هـ)، وكنز الفوائد للشيخ عز الدين بن عبد السلام (660هـ)، والنفيس لابن الجوزي،
وبستان العارفين لابن الليث السمرقندي (375هـ) ...¹

قسم السيوطي الإتيان إلى ثمانين مبحثاً موزعة على مختلف الاختصاصات (القراءات،
الرسم ، النحو ، الغريب ، البلاغة ، الحديث ، التفسير ، الفقه)، وكانت طريقته في التأليف
أن يذكر عنوان المبحث ثم أشهر من ألف فيه ، ثم يبين فائدته وأهميته في فهم القرآن
وتفسيره، ثم يذكر مسأله وفروعه ، مستدلاً بالقرآن والحديث وأقوال الصحابة والعلماء ،
وينقل نصوصاً من الكتب التي اعتمدها²؛ ينسبها إلى أصحابها في بعض الأحيان، أو
يوردها دون نسبتها بعد قوله: (قال بعضهم أو قال بعض المتأخرين)، وكثيراً ما يذكر رأيه
في الموضوع بعد تفصيله وذلك بإيراد لفظة (قلت) ، ومن بين ما يؤخذ عليه " أنه أورد
في الكتاب كثيراً من الروايات الضعيفة والأحاديث التي لم تثبت صحتها عند المحدثين ،
ولكنه أوردتها بإسنادها " ³ دون نقد أو تمحيص .

¹ ينظر الإتيان ، ص 20 - 23 .

² ينظر : صلاح الدين أرقدان : مختصر الإتيان ، ص 14 .

³ المرجع نفسه ، ص 14 .

الفصل الأول : السياق القرآني والتماسك النصي

المبحث الأول : مفهوم السياق

أ . السياق لغة

ب . السياق في الدرس اللساني الحديث

المبحث الثاني : السياق عند علماء القرآن

أ . السياق عند علماء القرآن

ب . عناصر السياق القرآني

المبحث الثالث : أنواع السياق القرآني

أ . السياق الداخلي : . سياق القرآن

. سياق السورة

. سياق المقطع

. سياق الآية

ب . السياق الخارجي

المبحث الرابع : التماسك النصي

أ . مفهومه : . الاتساق

. الانسجام

ب . دور السياق والمتلقي في تحقيق التماسك النصي

المبحث الخامس : التماسك النصي من خلال علوم القرآن

المبحث الأول: مفهوم السياق

أ . السياق لغة: ورد في "لسان العرب" (لابن منظور) قوله: "سوق: السوق معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سَوْقًا وسيَّاقًا، وهو سائق وسَوَّاق، شدد للمبالغة ... وقد انسأقت وتسأوقت الإبل تسأوقا إذا تتابعت وكذلك تقاودت، فهي منقادة ومتسأوقة .

وساق إليها الصداق والمهر سياقا و أساقه، وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق، والسياق المهر ...

ويقال فلان في السياق أي في النزع، والسياق نزع الروح ... وأصله سَوَّاق فقلبت الواو ياء لكسر السين ¹.

أما (الزمخشري) فيربط اللفظة بمختلف استعمالاتها، حيث يقول: " ومن المجاز: ساق الله إليك خيرا ، وساق إليها المهر ... وسأقت الريح السحاب ... والمحتضر يسوق سياقا ... وتسأوقت الإبل وتتابع ... وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه كذا، وجئت بالحديث على سوقه، على سرده ²، والمراد بالسرد التتابع والتوالي ، كما في قوله: "سرد الحديث والقراءة: جاء بهما على ولاء ³، وجاء في المعجم الوسيط للغة العربية "سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه ⁴.

من خلال سردنا لما جاء في بعض المعاجم العربية في لفظة (السياق) ، نجد أن الأصل اللغوي لها يأتي بعدة معاني، إلا أن المعنى المركزي هو التتابع، وأما

¹ ابن منظور لسان العرب ،مادة سوق، ج7/6، ص(408،409،410)

² أبو القاسم جار الله الزمخشري :أساس البلاغة ،مادة سوق ،ج1، ص484.

³ المرجع نفسه ،مادة سرد ،ص449.

⁴ إبراهيم مصطفى وآخرون ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة :المعجم الوسيط ،مادو سوق ،ص465.

إذا أضيف السياق إلى الكلام ، دل على تتابعه واقتران الألفاظ بعضها ببعض وتواليها، كما ذكر ذلك "الزمخشري"، وهذه الدلالة تصب في قالب ما يعرف في الدس اللساني الحديث بالسياق اللغوي أو سياق النص .

ب . السياق في الدرس اللساني الحديث :

يستعمل لفظ (السياق) Contexte في الدرس اللساني الحديث للدلالة على أمرين: المحيط اللغوي للوحدة اللغوية، ومقام التخاطب¹، وقد ظهرت فكرة السياق مع الانثربولوجي (مالينوفسكي) الذي يرى أن استيعاب معاني المفردات والجمل لا يكون إلا بالرجوع إلى مُعَاينة الوظائف التي تؤديها في السياقات الموقفية الخاصة التي تستعمل فيها²، ثم تطورت هذه النظرة وتوسعت لتصبح نظرية لغوية قائمة في الدراسات اللسانية الحديثة؛ ارتبطت باللغوي الانجليزي (فيرث Firth) سميت بالنظرية السياقية .

انطلقت النظرية السياقية من فكرة مركزية مفادها أن اللفظة المعجمية لا تكتسب معناها إلا من خلال وضعها في سياق معين، وهذا السياق هو المسؤول عن تحديد المعنى المقصود منها، حيث يرى صاحب النظرية "أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة"³، وكل سياق تحمل فيه الكلمة دلالة تختلف عن دلالتها ضمن سياق آخر .

إن الأصل المعجمي للفظ يحمل دلالات متعددة يصعب على المتلقي تحديد المعنى المراد منها عند استعمالها مستقلة، "والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها"⁴،

¹ ينظر: دومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحماي صمود، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة تونس 2008م، ص133.

² ينظر : أحمد مومن : اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط2، 2005م، ص178.

³ أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، عالم الكتب لقاها ، ط5 ، 1998م ، ص68.

⁴ فاندريس : اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1، 1950م، ص231.

ولذلك يرى أصحاب النظرية أن "الكلمة خارج السياق تحمل معها كل ما يمكن أن تنبئ به من دلالات يحتمل أن تؤيدها، ولهذا لا يمكن الوقوف على المعنى المحدد للكلمة، إلا من خلال إنجازها أو أدائها في سياق مقالي ومقامي محددين"¹، كما أن "السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها الباحث"²، فالعبارة لا تكتسب دلالتها التعبيرية في النص الذي وردت فيه من المعاني المعجمية للألفاظ الواردة فيها فقط، بل يحصل لها ذلك أيضا من خلال "السياق اللغوي الذي ترد فيه محكوما بالسياق المقامي أو الحالي أو الاجتماعي الذي تستعمل فيه بعناصره وظروفه وملابساته"³، ولذلك يعتبر السياق شرطا لاكتمال المعنى الدلالي الأكبر⁴.

ومن أجل إدراك المعنى المقصود؛ اهتمت النظرية إضافة إلى السياق اللغوي بـ"سياق الحال، أو سياق الموقف الذي يراد به "الوسط الذي يقع فيه الكلام"⁵، أو مجموع العناصر غير اللغوية التي تتصل بالموقف الكلامي والمشاركين فيه، وقد قسم الدارسون السياق إلى قسمين :

. السياق الداخلي (السياق اللغوي) : ويتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معين .

. السياق الخارجي (السياق غير اللغوي) : ويتمثل في السياق الاجتماعي أو سياق الحال بما يحتويه، وهو يشكل الإطار الخارجي للحدث الكلامي، أو كل ما يصاحبه

¹ هادي نهر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر، الأردن، ط1، (1427هـ - 2007م) ص296 - 297.

² عبد الجليل منقور : علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق (سوريا) ط1، 2001م، ص89.

³ هادي نهر : علم الدلالة، ص296.

⁴ ينظر : تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب) ط1، 1994م، ص342.

⁵ محمود السعمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان) ص310.

من ظروف اجتماعية وثقافية ونفسية، وكل ما يتصل به و بالأطراف المشاركين فيه¹

.

إن تحديد الدلالة الكاملة للنص يستلزم استعماله داخل سياقه الثقافي الذي يشمل
نُظم المجتمع وتاريخه وأفكاره وتقاليده وقيم الناس الأخلاقية ، وغير ذلك مما يرتبط
بها ارتباطاً وثيقاً² من عادات ومعتقدات دينية ، أما إذا كان النص معزولاً عن
محيطه الاجتماعي والثقافي ، فإن دلالاته تكون غير مكتملة في ذهن المتلقي .

المبحث الثاني : السياق عند علماء القرآن

¹ ينظر : حسام أحمد فرج : نظرية علم النص ، ص23.

² ينظر : عزة شبل : علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر ، ط 2 ، 2009 ، ص02.

لم تكن فكرة السياق وليدة الدراسات اللسانية الحديثة، وإنما لها أصولها وجذورها في التراث العربي، فقد أدرك العلماء العرب القدامى (اللغويون، البلاغيون، الأصوليون، والمفسرون) أهمية السياق منذ بداية التأليف في الحضارة العربية الإسلامية، وإن كانت إشاراتهم إليه مبنوثة في ثنايا كتبهم، وقد تنبهوا إلى دوره " في بيان الدلالة بما لم يزد عليه المعاصرون إلا ترتيباً وتصنيفاً"¹، ورغم تعويلهم عليه والإفادة منه في فهم النصوص، إلا أنهم لم يعتدوا به مصطلحاً قائماً بذاته²، ومع ذلك فقد كانت هناك إشارات إليه توجي إلى ما يعرف في الدرس اللساني الحديث بـ"سياق الموقف"؛ تؤدي المعنى نفسه مثل : الحال (الأحوال) ، المشاهد، الدليل، القرائن، المقام والموقف...³

إن التراث العربي الإسلامي يتميز بعدة خصائص أهمها الاتساع والتنوع والثراء، و تداخل الاختصاصات⁴، ولما كان موضوع البحث يتجه إلى فرع خاص من فروع هذا التراث وهو علوم القرآن؛ جاء مبحث السياق بحثاً عن ماهيته ضمن هذا الاختصاص بما يخدم الموضوع مباشرة .

إن الباحث في كتب القدماء لا يكاد يجد مفهوماً محدداً للسياق سوى ذكر لأهميته، وأثره في ترجيح المعاني بعضها على بعض وأسرار ورود بعض الألفاظ في سياقات معينة دون أخرى⁵، وقد استغرب بعض الباحثين، مثل "الدكتور محمد أبو زيد" ، عدم وجود تعريف واضح للسياق وخاصة عند المفسرين و علماء القرآن رغم

¹ هادي نهر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ،ص268.

² ينظر : ردة الله الطلحي :دلالة السياق ،ص41.

³ ينظر : المرجع نفسه ،ص42.

⁴ ينظر : نوال لخلف : الانسجام في القرآن الكريم - سورة النور أنموذجاً - رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، إشراف محمد العيد رتيمة ، جامعة الجزائر (2006/2007م)،ص103.

⁵ ينظر : المثني عبد الفتاح محمود : نظرية السياق القرآني ،دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، دار وائل للنشر ،عمان (الأردن) ط2008م،ص14.

كثرة استعمالهم للفظ، ويعتقد أن هذا هو السبب في اختلاف الدارسين المعاصرين في إيجاد مفهوم واضح للسياق¹.

لقد اختلفت الآراء حول تحديد مفهوم السياق ، فمن الدارسين من يجعله مقتصرًا على السياق اللغوي فقط، ومنهم من يوسع حدوده ليشمل أيضا المقام الذي ورد فيه النص، وقد لخص الدكتور (ردة الله الطلحي) مدلول السياق في التراث العربي في ثلاث نقاط هي:

. الأولى: أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام .

. الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظا الحال والمقام .

. الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي ورد فيه الكلام، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام²، ويذكر (الطلحي) أن أول من استعمل لفظ السياق للدلالة على هذا المعنى هو (الشافعي ت 204هـ) في "الرسالة"³ .

إن اهتمام العلماء العرب قديما بالسياق كان واضحا من خلال مصنفاتهم، ومن أكثر المهتمين به المفسرون وعلماء القرآن، فقد تنبهوا إلى دوره البارز في فهم النص القرآني، فاستعانوا به واعتبروه وسيلة مهمة من وسائل الوصول إلى مراد الشارع الحكيم، والنص الذي يتعامل معه علماء القرآن ليس كباقي النصوص الأخرى، وإنما له مميزات خاصة، وأهم ما يميزه كونه " كلام الله تعالى، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته"⁴ بواسطة جبريل ، فالمرسل هو

¹ ينظر : محمد أبو زيد (قسم اللغة العربية جامعة تبوك المملكة العربية السعودية) :الترجيح بين دلالة السياق وسبب النزول ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 28، العدد 3-4، 2012م، ص14.

² ينظر : ردة الله الطلحي دلالة السياق ص50-51.

³ ينظر : المرجع نفسه، ص42.

⁴ مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ، القاهرة (مصر) ط1، 1995م، ص16.

الله عز وجل ، والمتلقي الأول هو الرسول . صلى الله عليه وسلم . والغرض من الرسالة هو العبادة .

إن هذه المميزات الخاصة بالنص القرآني جعلته يكتسب قدرًا كبيرًا من القداسة عند المسلمين، ولم تكن هذه القداسة لتمنع العلماء من دراسته لاكتشاف معانيه ومقاصده، واستنباط أحكامه، ولعل ذلك ما دفعهم إلى التعامل معه أكثر من أي نص آخر، فتعددت مناهج دارسيه والباحثين فيه، فقد " دُرس لغويا في كتب معاني القرآن و غريبه وإعرابه، ودرس أدائيا . قراءة وكتابة . في كتب القراءات صحيحها و شاذها ورسم المصحف وجمعه، وتناوله الفقهاء في كتب الأصول والأحكام، وتناوله البلاغيون في كتب الإعجاز وبيدع القرآن ... وكل هذه الأشكال من التعامل مع القرآن الكريم كانت باعتباره كتابا مقدسا معجزا ومصدرا للتشريع"¹.

إذا كان هذا حال الدارسين باختلاف توجهاتهم في التعامل مع القرآن الكريم، فإن علماء القرآن كانوا الأكثر تعاملًا معه من غيرهم وذلك لتوظيفهم العديد من العلوم السابقة الذكر، والعديد من الآليات والأدوات التي حاولوا من خلالها الإحاطة به من جوانب متعددة، وبهذا كانت جهود علماء القرآن جامعة لما قدمه كل من اللغويين والبلاغيين والفقهاء والقراء خدمة للقرآن الكريم، ويتضح ذلك أكثر مع تعريفهم لعلوم القرآن بأنها "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته وقراءته، وتفسيره وإعجازه، وناسخه و منسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك"² مما يتعلق بالنص القرآني كتابية وقراءة وفهما، وتسمى هذه العلوم أصول التفسير لأنها تتناول العلوم التي يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها³.

¹ ردة الله الطلحي : دلالة السياق ،ص104.

² خالد عثمان السبب : كتاب مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقديم ، دار ابن عفان للنشر ، ص18.

³ ينظر : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي : دراسات في علوم القرآن الكريم ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض (السعودية) ط14، (1426هـ ، 2005م) ص32.

1 . عند السيوطي (849-911هـ): إن المتأمل في مصنفات علوم القرآن ، يكتشف ما يوليه أصحابها من أهمية بالغة للسياق لوعيهم بدوره البارز في بيان معاني ومقاصد الكتاب العزيز، فقد أدرجوا العديد من العلوم المتعلقة بالسياق ضمن المباحث الأولى من مؤلفاتهم ، ومنها أسباب النزول والمكي والمدني وما يتعلق بأزمة النزول وأماكنه ، ومن أشهر هذه المصنفات . كما ذكرنا سالفاً . كتاب " الإتيان في علوم القرآن " للسيوطي " .

كان اهتمام "السيوطي" بالسياق واضحاً، فقد جاء حديثه عنه في مواضع كثيرة من الإتيان، وأول المباحث التي استهل بها كتابه كانت متعلقة بالسياق المقامي؛ حيث تمحورت هذه المباحث حول معرفة المكي والمدني ومعرفة أوقات النزول وحالاته، وأسباب النزول التي تمثل السياق الخارجي للنص القرآني¹، كما أن "السيوطي" فصل مباحث أخرى نصب في قالب سياق الموقف وعناصره (الزمان والمكان) و منها : الحضري والسفري ، الصيفي و الشتائي ، الفراشي والنومي، السماي والأرضي² ،

إن هذا الاهتمام الذي أولاه "السيوطي" للسياق نابع من إدراكه لأهميته وضرورة معرفة المفسر له، ويوضح ذلك أكثر من خلال قوله في أنواع التفسير: "وأما ما لم يرد فيه نقل فهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ في لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالاتها بحسب السياق"³.

يتبين لنا اهتمام السيوطي بالسياق في (الإتيان) من خلال ثلاثة أمور هي :

*الأول : استعمال لفظ السياق في كثير من المواضع في (الإتيان) ، ومنها :

¹ ينظر: نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، ص 111

² ينظر : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، تقديم وتعليق أبو الحسن مصطفى ديب البغا ، دار الهدى عين مليلة (الجزائر) ص56 وما بعدها .

³ السيوطي : الإتيان ج2، 1217.

. قوله في أسباب النزول : " وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة ، رعاية لنظم القرآن وحسن السياق " ¹ ، فالسياق من خلال هذا القول يتبين أن له دورا هاما في بيان نظم القرآن وتناسب الآيات مع بعضها البعض ، مما يجعل النص القرآني متماسكا بين أجزائه .

. ما أورده أثناء حديثه عن مرجع الضمير والدور الذي يقوم به في بيان ذلك ، حيث قال : " وقد يدل عليه السياق فيضم ، ثقة بفهم السامع " ² ، دل هذا القول على أن السياق يوجه فهم المتلقي لتحديد مرجع الضمير .

. ما ذكره في أصناف المفسرين وطريقة تفسيرهم؛ فمنهم من اعتمد المعني الذي رآه، من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، ومنهم من اهتم باللفظ فقط ، دون النظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام ³ .

. القول الذي نقله عن "الزركشي" في شروط المفسر : " ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له" ⁴ .

. ما ذكره في علم المناسبات من أن المناسبة بين الآيات تكون بالنظر " إلى الغرض الذي سيق له السورة " ⁵ ، دلّ هذا على أن السياق يكشف أوجه المناسبة بين الآيات ، وسيتبين لنا ذلك في الفصل الخاص بالمناسبات .

***الثاني:** إدراجه للمباحث المتعلقة بالسياق المقامي في بداية مؤلفه (المكي والمدني و أسباب النزول) .

¹ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 98.

² المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 598 .

³ ينظر المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 1203 .

⁴ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 1223 .

⁵ السيوطي : الإتقان ج 2 ، ص 982 .

***الثالث :** يتبين لنا اهتمام (السيوطي) بالسياق أيضا من خلال ما أورده في طرق التفسير؛ حيث يقول في النوع الثامن والسبعين في معرفة شروط المفسر وآدابه: " من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه ... فإن أعياه ذلك طلبه من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له "¹، وإذا تعذر التفسير بالقرآن أو بالسنة؛ يقدم لنا وسيلة ثالثة للتفسير، وهي أقوال الصحابة، حيث يقول: " فإذا لم يجده في السنة ، رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله " ² .

ذكر (السيوطي) ثلاث طرق للتفسير وهي: تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وكلها تتدرج ضمن التفسير بالمأثور (المنقول)، كما أنها تعتمد على السياق بنوعيه؛ فهي تعتمد استقصاء النصوص (سياق القرآن)، فإنه يفسر بعضه بعضا، وأما السنة فهي أيضا مفسرة للقرآن في إطار سياق النص، وذلك لكونها محتواة في آية واحدة من القرآن الكريم ³، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) ﴾ الحشر، وفي ذلك يرى "ابن كثير" أن السنة تنزل بالوحي أيضا كما أنزل القرآن وقد استدل على ذلك بحديث في مسند (الإمام أحمد) أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . قال: ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه))⁴، وقد ذكر هذا الحديث في (الإتقان) وعلق عليه بقوله: " يعني السنة " ⁵، أي أن السنة مثل القرآن في كونها نوع من الوحي .

¹ المصدر نفسه، ج2، ص 1198 .

² المصدر نفسه، ج2، ص 1198 .

³ ينظر ردة الله الطلحي: دلالة السياق، ص106.

⁴ ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، للنشر، المملكة العربية السعودية، ط2،

(1420هـ، 1999م) ج1، ص07.

⁵ الإتقان في علوم القرآن: ج2، ص 1198 .

وأما أقوال الصحابة فإنها تدخل ضمن سياق الموقف، وذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال، " وهذه القرائن والأحوال تتمثل في أسباب النزول فكثير من الآيات ارتبطت بمواقف وأحوال اقتضت نزوله "1 ، فقد روي عن (عبد الله بن مسعود) أنه قال: " والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه "2 ، وفي هذا الحديث دلالة على أن الصحابة كانوا يتحرّون المواقف والأحوال التي ينزل فيها القرآن العظيم لعلمهم أن النص يفهم من خلال الموقف الذي ورد فيه .

2 . عند الزركشي (745-794هـ) : لم يكن (السيوطي ت911هـ) الوحيد الذي تنبه إلى أهمية السياق ودوره في التفسير ، وإنما هناك علماء سبقوه إلى ذلك ، فقد أشار الزركشي إلى هذه الأهمية بقوله: " ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له ، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا نرى صاحب الكشف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا وكأن غيره مطروح"3 ، "فالزركشي" يشترط على المفسر مراعاة السياق اللغوي لتحديد المعنى المقصود من جهة ، ومن جهة أخرى يمثل بصنف من المفسرين الذين يعتمدون هذا النوع من التفسير، وهو (الزمخشري 467-538هـ) في تفسيره (الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، فالزمخشري من المهتمين بتوظيف السياق وعناصره المختلفة في تفسير القرآن الكريم 4.

¹ ردة الله الطلحي : دلالة السياق ، ص107.

² محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردويه البخاري، صحيح البخاري، أخرجه وضبطه ونسق حواشيه صدقي جميل العطار ، دار الفكر بيروت لبنان 2007م ج 3 (كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) ص326 ، وذكره السيوطي في الإتيان بلفظ آخر ، ص27

³ بدر الدين محمد الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث القاهرة (مصر) ط3، (1404هـ، 1984م) ، ج1، ص317.

⁴ ينظر : مسعود بودوخة : السياق والدلالة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، سطيف (الجزائر) ط1، 2012 م ، ص 08 .

هذه دلالة واضحة على أن (الزركشي) كان على دراية بالسياق وبالذين يعتمدونه في تفاسيرهم ، فقد ذكر لنا إضافة إلى (الزمخشري) عالما آخر من الذين سبقوه وكان من المهتمين بالسياق، وذلك في إطار حديثه عن كتب غريب القرآن حيث يقول: "ومن أحسنها كتاب المفردات للراغب (الأصفهاني ت 425هـ) وهو يتصيد المعاني من السياق" ¹، وقد أشار إليه (السيوطي) أيضا ².

3. عند ابن القيم (691-751هـ): وغير بعيد عن (الزركشي) و(السيوطي) نجد ابن القيم يذهب إلى بيان أهمية السياق ودره في التفسير من خلال قوله: "السياق يرشد إلى تبين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم الدلائل الدالة على مراد المتكلم" ³، فالسياق عند (ابن القيم) من أهم ما يعين على معرفة مقصود المتكلم، ويقدم لنا شاهدا من القرآن الكريم يقول فيه: "فانظر إلى قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (49) **الدخان: ٤٩** ، كيف نجد سياقه يدل على أنه الحقير الدليل" ⁴.

4. ابن كثير (ت751هـ): وفي نفس السياق نجد ابن كثير في مقدمة تفسيره يرى أن أصح طرق التفسير: "أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فقد فسر في موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له" ⁵، وإذا لم يجد المفسر غايته في القرآن والسنة رجع " إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك؛ لما شهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم

¹ البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص291.

² ينظر: الإتيان في علوم القرآن ج2، ص1217 .

³ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية : بدائع الفوائد ، تحقيق محمد علي بن محمد العمراني ، دار علم الفوائد للنشر (المجمع الفقهي الإسلامي جدة) العربية السعودية ، ج4، ص1314.

⁴ المصدر السابق ، ج4، ص1314.

⁵ إسماعيل بن عمر بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط2، (1420هـ، 1999م) ج1، ص07.

الصحيح والعمل الصالح ، ولا سيما علماؤهم وكبرائهم ¹، وهذه نفس الطرق التي ذكرها (السيوطي) في (الإتقان) ، وهي تتعلق بسياق النص وسياق الموقف .

يؤكد هذا ما ذهب إليه (عبد الرحمن السعدي) في مقدمة تفسيره بقوله:
"فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله . القرآن . من أعظم ما يعين على معرفته ، وفهم المراد منه ²."

من خلال هذه الأقوال التي نقلناها عن والمفسرين وعلماء القرآن يتبين لنا مدى أهمية السياق في بيان معاني النص الكريم وفهم دلالاته . وقد وضع العلماء شروطا لمفسر القرآن ، " وأكثر هذه الشروط تصب في السياق والمقام وما يحيط بالنص القرآني من ظروف وملابسات لا بد للمفسر من الوعي بها قبل مباشرته تفسير القرآن الكريم ³، وقد لخصها " تمام حسان " ضمن كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) ، ويرى أنها في الواقع تعبر عن مقام الفهم ومنها:

. ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعض .

. ألا يغفل عن السنة في تفسيره .

. أن يعرف أسباب النزول .

. أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب ⁴ . واختصر هذه الشروط الأربع في كلمة (المقام) وقال : " لا ينبغي لمن يتصدى لتفسير آية أن يغفل عن مقامها ⁵."

¹ المصدر نفسه ، ج1، ص07.

² عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، دار الإمام مالك ، باب الواد (الجزائر) ، ط1، (1430-2009م) ص05.

³ هادي نهر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، ص269.

⁴ ينظر : تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص348.

⁵ المرجع نفسه ، ص 348 .

يتبين لنا من خلال ما أوردناه من أقوال العلماء في السياق وإشاراتهم إليه وإلى أهميته، أن العرب القدماء كانوا على وعي تام بقضية السياق وما له من أهمية بالغة ودور بارز في تحديد مراد المتكلم ، سواء من حيث الساق اللغوي أو من حيث سياق الحال أو الموقف، وكلاهما يعول عليه العلماء لإظهار الدلالة العامة للنص وخاصة المفسرون وعلماء القرآن.

عناصر السياق القرآني :

تعتبر عناصر السياق من أهم ما يُعين المتلقي على فهم المقصود من الكلام، ويرى الدكتور (ردة الله الطلحي) أنه على المفسر أن يراعيها عند تفسيره وهي:

. المتكلم بالقرآن: مراعاة ما يصلح له من حسن تفسير الأسماء والصفات المتعلقة به، ومراعاة حكمته التشريعية من النص (القرآن) في كونه : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ البقرة: ١٨٥.

. المنزل عليه : باعتباره ناقلًا ومبلغًا ومُخَاطَبًا به ، ويجب على المفسر مراعاة أن هناك عددا من الآيات والقصص سبقت لمواساة الرسول . صلى الله عليه وسلم . في رفض قومه دعوته، وإعراضهم وصدّهم عن الإيمان بما جاء به، كما أن المنزل عليه من جملة المخاطبين الذين يجب مراعاتهم عند التفسير .

. مراعاة سياق الكلام: ويتعلق بأسباب النزول .

. الزمان والمكان : يتعلق بمعرفة المكي والمدني¹ ، وقد كان لعلماء القرآن في معرفة المكي والمدني تحديدات عديدة، أشهرها ما ذكره (السيوطي) في (الإتقان) وهي ثلاثة :

¹ ينظر : ردة الله الطلحي : دلالة السياق 112 - 113 .

الأول : أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أو بالمدينة .

الثاني : أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة ، ويدخل في مكة وضواحيها المنزل بمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها المنزل ببدر وأحد وسلع .

الثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة¹.

نلاحظ من خلال هذه التحديدات للمكي والمدني أن الأول متعلق بالزمان؛ وهو زمن الهجرة، أما الثاني فمتعلق بالمكان؛ مكة والمدينة ، أما الثالث فمتعلق بموضوع الخطاب، وقد نقل (السيوطي) عن (الحاكم) في (المستدرک) أن ما جاء خطاباً للمؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أنزل بالمدينة، وما جاء خطاباً للناس عامة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، أو لبني آدم: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ فقد أنزل بمكة² ، ونقل عن (البيهقي) أن " كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة " ³ .

المبحث الثالث : أنواع السياق القرآن

ينقسم السياق القرآني إلى قسمين⁴:

أ . القسم الأول: السياق الداخلي (اللغوي) : يضم هذا القسم أربعة مستويات:

1 . سياق القرآن بكامله : يتحدد سياق القرآن بكامله من خلال أمرين:

¹ ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، ج1 ، ص 26 - 27 .

² ينظر الإتقان في علوم القرآن :ج1 ، ص 52 .

³ ينظر المصدر السابق ، ج1 ، ص 53 .

⁴ ينظر: أحمد مصطفى الأسطل : أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني ، رسالة ماجستير في علم اللغة الحديث ، كلية الآداب الجامعة الإسلامية بغزة (1432هـ، 2011م)، ص72.

. الأول : ويقصد به مراد الله عز وجل من كتابه الكريم؛ وهو تعريف الخلق بربهم وعبادتهم إياه ¹، ويدخل ضمن هذا الغرض ما يعرف عند الأصوليين بمقاصد الشريعة، أو الكليات الخمس التي جاء الإسلام لحفظها .

يبين (الطاهر بن عاشور) في مقدمة تفسيره (التحرير والتنوير) (القصد من القرآن الكريم بقوله : "فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين" ²، وقد فصل أبو إسحاق الشاطبي (ت 790هـ) هذه المقاصد بقوله: "اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وُضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي : الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل" ³ .

. الثاني : أن سياق القرآن الكريم يدخل ضمنه ما وضعه العلماء من قواعد التفسير بالمأثور الخاصة بتفسير القرآن بالقرآن ، حيث يتطلب ذلك " استحضار النص القرآني جميعه عند تفسير بعضه، لأن القرآن يفسر بعضه بعضا " ⁴ ، و هذا المستوى من السياق اللغوي له دور في بيان كيفية ارتباط الآيات القرآنية مع بعضها البعض وتماسكها في موضوع واحد "حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني منتظمة المباني " ⁵ ، وقد أشار إلى هذا النوع "الإمام السيوطي" في "الإتقان" حيث قال : "من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن الكريم فما أجمل في مكان فقد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه" ⁶ كما أنه أورد أمثلة من تفسير القرآن بالقرآن ومنها : " تفسير النبي صلى الله عليه وسلم (الظلم) في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ

¹ ينظر : محمد أبو زيد: الترجيح بين دلالة السياق وسبب النزول ، ص 17.

² محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984م، ج1، ص39.

³ أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة ، ضبطه واعتنى به محمد عبد الله دراز ، دار المعارف بيروت ط2 ، (1395هـ، 1975م) ج1، ص38.

⁴ هادي نهر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، ص369 .

⁵ بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص36.

⁶ جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ج2، ص1197 .

الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) ﴿ الأنعام: ﴾ بالشرك من قوله: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) ﴾ لقمان¹، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَهُ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ المائدة، فسر؛ قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ المائدة: 3². ويسمى هذا النوع عند الدارسين بالتفسير السياقي " وهو بيان القرآن بالقرآن"³.

2. سياق السورة : كل سورة من القرآن الكريم وحدة متماسكة متناسقة يجمعها سياق واحد هو الغرض من السورة الكريمة⁴، ومن خلال هذا يرى الدكتور (المثنى عبد الفتاح) أن فهم السورة يتوقف على تحديد موضوعها الأساسي، وهذا الأخير يتوقف على تحديد المقاطع والمفاصل المشكلة لهذه السورة، " فلا بد أن تتسجم وتتناسق موضوعات المقاطع والمفاصل مع سياق السورة؛ إذ تغدوا السورة حينئذ متماسكة مترابطة من البدء حتى الختام"⁵، وفي نفس السياق يقول: "معرفة مقصود السورة لا يتم إلا بمعرفة جميع جملها وتدبر سياقها من بدايتها إلى منتهاها"⁶، ومن أمثلة سياق السورة ما ذكره الإمام (البقاعي ت885هـ-1480م) في سورة الفاتحة؛ قال: " فالغرض الأساسي الذي سيقته له الفاتحة هو إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة، باستحقاق العبادة والاستعانة بالسؤال في المنّ بالزام صراط الفائزين والإنقاذ من طريق الهالكين مختصا

¹ الإتيان، ج 1، ص 97.

² ينظر : المصدر نفسه ج 2، ص 695

³ سعيد بولنوار: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، تحديد المفاهيم النظرية، رسالة دكتوراه، إشراف ليوخ بوجملين، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (2011-2012م)، ص 45.

⁴ ينظر : محمد أبو زيد : الترجيح بين دلالة السياق وأسباب النزول، ص 17.

⁵ المثنى عبد الفتاح نظرية السياق القرآني، ص 82.

⁶ المرجع نفسه، ص 83.

بذلك كله، ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم لإفراده بالعبادة، فهو مقصود الفاتحة بالذات " 1 .

3 . سياق المقطع أو الفقرة : ويسميه بعض الدارسين سياق النص، فكل جزء من السورة له سياقه الخاص، يتناسب وسياق السورة الكريمة ²، وهذا النوع يتجلى من خلال معرفة المقطع المتحد في الغرض، ويتبين أكثر في سياق القصص ³، ومن ذلك اختلاف عرض القصة الواحدة في سور مختلفة؛ فكل قصة تُعرض بما يناسب السورة التي وردت فيها، وفي ذلك يقول البقاعي: " إن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة؛ استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقى له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض " 4 .

يرى الدكتور (المثنى عبد الفتاح) أن " أمثل طريقة لبيان التناسب والتناسق بين الآيات القرآنية هو تقسيم السورة إلى مقاطع بعد النظر في جميعها، ومن ثمَّ تحليل سياق المقطع لإبراز موضوعه الأظهر فيه، وعندها يطلب وجه المناسبة بين الآيات " 5 ، فسياق المقطع يسهل عملية البحث عن أوجه الترابط بين الآيات المشكلة لذلك المقطع .

وفي هذا المقام يرى (سيد قطب) أن لكل سورة من القرآن " موضوع رئيسي، أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جو خاص يظل

¹ برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة (مصر) ج1، ص20-21.

² ينظر : محمد أبو زيد الترجيح بين دلالة السياق وأسباب النزول ، ص17.

³ ينظر : تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث : أثر السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني ، دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام ، رسالة ماجستير تخصص التفسير وعلوم القرآن ، جامعة أم القرى (1428هـ-2007م) ص77.

⁴ البقاعي نظم الدرر ، ج1 ، ص08 .

⁵ المثنى عبد الفتاح : نظرية السياق القرآني ، ص90 .

موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسب بينها وفق هذا الجو¹.

و يعطي مثالا على تعدد الموضوعات في السورة الواحدة وارتباطها بالموضوع العام للسورة بسورة البقرة حيث يقول: "هذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا، فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة واستقبالهم لها ومواجهتهم لرسولها . صلى الله عليه وسلم . . . ومن الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض"².

4. سياق الآية : يكون النظر في سياق الآية دون تجاوز ذلك إلى ما سبقها أو لحقها من آيات، لتحديد واقتناص المعنى المراد لأحد المفردات من خلال معانيها المتعددة والمحتملة³، وقد فصل (السيوطي) القول في هذا النوع بالأمثلة ضمن مبحث "الوجوه والنظائر"، ويقصد بذلك: اللفظ "المشترك الذي يستعمل في عدة معان" ⁴، ومثال ذلك ما ذكره في معاني "الروح" وأنها ترد على أوجه بحسب سياق استعمالها في الكلام وهذه الأوجه كما ذكرها هي⁵:

*الأمر : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ النساء: ١٧١.

*الوحي : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ﴾ النحل: ٢.

*القرآن : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ الشورى: ٥٢ .

¹ سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق القاهرة (مصر) ط32، (1423هـ-2003م) ص28.

² المرجع نفسه ص28.

³ ينظر : عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري : السياق القرآني وأثره في التفسير ، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير

ابن كثير ، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، جامعة أم القرى كلية أصول الدين 2008 م ، ص106.

⁴ الإتقان في علوم القرآن : ج1، ص 445 .

⁵ ينظر المصدر نفسه ج1 ، ص 450 .

*الرحمة: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ المجادلة: ٢٢ .

*الحياة: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ الواقعة: ٨٩ .

*جبريل: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ مريم: ١٧ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ الشعراء: ١٩٣

*ملك عظيم: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ النبأ: ٣٨ .

*جيش من الملائكة: ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ القدر: ٤ .

*روح البدن: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الإسراء: ٨٥ .

ب . القسم الثاني السياق الخارجي : قد أشار المفسرون وعلماء القرآن إلى مجموعة من القرائن المقامية التي تمثل السياق الخارجي للنص القرآني ، ومن أبرزها :

. معرفة أسباب النزول .

. معرفة المكي والمدني من الآيات .

. معرفة زمان نزول الآية باعتبار نزول القرآن منجما أي: مفرقا على ثلاث وعشرين سنة، مدة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا¹.

يتبين لنا من هذا العرض أن العلماء العرب كانوا على وعي تام بقضية السياق وخاصة منهم علماء القرآن ، فالسياق له أهمية بالغة في تفسير القرآن الكريم ، سواء من حيث ألفاظه أو آياته أو سوره أو القرآن كله ، وذلك من خلال معرفة سياق الآية وسياق النص وسياق السورة وسياق القرآن كله ، مع ضرورة معرفة ما يحيط بالنص

¹ ينظر : أحمد مصطفى الأسطل أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني ، ص74.

القرآني من ظروف خارجية من أسباب النزول وأماكنه ، وأقوال الصحابة ونُظُم المجتمع العربي ولغته وعاداته وتقاليده .

المبحث الرابع : التماسك النصي

أ/ مفهومه: ذكرنا في مفهوم النص أن من بين ما يميزه خاصية التماسك النصي، فالتماسك من أهم الظواهر اللغوية التي اهتمت بها الدراسات النصية ، فقد "عده النصيون العمود الفقري لنظريتهم"¹، وذلك لما له من أهمية في التحليل النصي .

يتعلق التماسك النصي بمعياريين أساسيين من معايير النصية عند (دي بوجراند)؛ أحدهما يختص بالجوانب الشكلية في النص، والآخر يختص بالجوانب الدلالية، وكلاهما مكمل للآخر وهما الاتساق والانسجام :

¹ عيسى جواد الوداعي: التماسك النصي، دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية، 2005م، ص25.

أ /الاتساق: يقول (محمد خطابي): " يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية)"¹، وقد عبر عنه (سعد مصلوح) بمصطلح (السبك)، حيث يقول: " يختص معيار السبك بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق "²، وقد حدد (هالداي ورقية حسن) هذه الوسائل في: " الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل والاتساق المعجمي"³.

1 / الإحالة : تعد الإحالة من أهم الوسائل المحققة للتماسك النصي، ويقصد بها وجود عناصر لغوية " لا تكفي بذاتها من حيث التأويل ، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها " ⁴ ، وتسمى عناصر محيلة وهي : الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ، فهذه الكلمات لا تحمل معانيها في ذاتها وإنما يجب أن تقترن بعناصر أخرى في النص أو خارجه تبين دلالاتها .

تنقسم الإحالة إلى قسمين:

. إحالة داخل النص (نصية) ، وهي قسمان:

*إحالة إلى سابق (قبلية) تعود على مفسر سبق التلفظ به .

*إحالة إلى لاحق (بعدية) تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص.

. إحالة خارج النص (مقامية) تحيل على عنصر خارج النص⁵ .

¹ محمد خطابي : لسانيات النص ، ص 05 .

² سعد مصلوح :نحو أجرامية للنص الشعري ،دراسة في قصيدة جاهلية ،مجلة فصول مجلد 10 ، عدد 1-2 (1991) ص154.

³ محمد خطابي:لسانيات النص ،ص11.

⁴ المرجع السابق ، ص 17 .

⁵ ينظر : أحمد عفيفي : نحو النص ، ص 117 .

2/ الاستبدال : عملية تتم داخل النص ويقصد بها " تعويض عنصر في النص بعنصر آخر " ¹، وهو ثلاثة أنواع : استبدال اسمي، استبدال فعلي، استبدال قولي .

3/ الحذف : يعد الحذف من الظواهر النصية ، وهو " استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في ذهن " ² دون ذكرها ، والحذف قائم على مبدأ التقدير ³ ، فالمتلقي يقوم في ذهنه بعملية تقدير المحذوف استنادا إلى قرائن معينة يجدها داخل النص أو يستنتجها من سياق الموقف، وبذلك ينسج علاقة بين ظاهر النص وبين سياقه المقامي الذي ورد فيه بغرض إدراك المعنى المقصود .

والحذف لا يختلف عن الاستبدال " إلا بكون الأول استبدال صفري ، أي أن علاقة الاستبدال تترك أثرا؛ وأثرها وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثرا ... إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء " ⁴ ، فيتشكل في النص فجوات ، وللمتلقي مهمة إغلاقها من أجل بناء نص منسجم .

ينقسم الحذف إلى ثلاثة أنواع:

- **الحذف الاسمي:** ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل : أي قميص ستشتري ؟ هذا هو الأفضل . أي هذا القميص .
- **الحذف الفعلي :** يكون المحذوف فعلا ، مثل : ماذا كنت تتوي ؟ السفر . والتقدير أنوي السفر .
- **الحذف داخل الجملة :** كم ثمن هذا ؟ خمسة جنيهات ، والتقدير: ثمنه ⁵ .

¹ ينظر :محمد خطابي : لسانيات النص ، ص 19.

² ينظر : روبرت دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء ، ص 301 .

³ ينظر : نعمان بوقرة ، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب ، ص 44 .

⁴ محمد خطابي لسانيات النص ، ص 21 .

⁵ ينظر : أحمد عفيفي : نحو النص ، ص 128 .

4/ الوصل : هو تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق بالسابق بشكل منظم ، فالنص وحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزائه¹ ، وذلك باستعمال أدوات محددة ، وإذا كانت وظيفة أدوات الوصل هي " الربط بين المتتاليات المشكلة للنص ، فإن معانيها داخل النص مختلفة ، فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة إلى معلومات سابقة ، أو معلومات مغايرة للسابقة ، أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب)² .

صنف "محمد الأخضر الصبيحي" هذه الأدوات اعتمادا على دلالاتها في النص كالتالي :

. صنف يفيد الإضافة مثل : " الواو " ، " أو " ، أيضا ، بالإضافة .

. صنف يفيد التعدد مثل : أولا ، ثانيا ، أخيرا ، في النهاية ، بعد ذلك .

. صنف يفيد الشرح مثل : لأن ، بمعنى ، بعبارة أخرى .

. صنف يفيد التوضيح مثل : مثلا ، خاصة .

. صنف يفيد التمثيل مثل : نحو ، مثلا .

. صنف يفيد الربط العكسي مثل : لكن ، غير أن ، عكس ذلك .

. صنف يفيد السبب : وعليه ، نتيجة لذلك ، بناء على ذلك .

. صنف يفيد الاختصار : بإيجاز ، باختصار ، على العموم ، أخيرا .

. صنف يفيد التعاقب الزمني : قبل ذلك ، بعد ذلك ، ثم ، إثر ذلك³ .

¹ ينظر محمد خطابي : لسانيات النص ، ص 23 .

² المرجع نفسه ، ص 24 .

³ ينظر محمد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص ، ص 95 .

5/ الاتساق المعجمي : يشمل التكرار والتضام :

- **التكرار** : "شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر ، أو ورود مرادف له ، أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً" ¹ ، والمثال التالي توضيح لذلك :

. شرعت في الصعود إلى القمة ، الصعود سهل للغاية .

يمكن تعويض لفظة "الصعود" الثانية بإحدى الألفاظ التالية : (التسلق ، العمل، الشيء) ، فالصعود إعادة لنفس اللفظة الواردة في الجملة الأولى ، والتسلق مرادف له ، والعمل اسم مطلق أو اسم عام يمكن أن يدرج فيه الصعود.²

- **التضام** : " وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظراً لارتباطها " ³، يحكم توارد هذه الألفاظ علاقات منها :

* **التعارض** : ولد/ بنت ، جلس /وقف ، أحب/ كره ، الجنوب/ الشمال.

* **الكل . الجزء** : السيارة / العجلات ، المنزل / الباب

* **الجزء . الجزء** : الفم / الذقن ...

* **عناصر من نفس الحقل العام** : كرسي/ طاولة ، المحاولة /النجاح ، المرض/ الطبيب ...

ب /الانسجام: يسميه (سعد مصلوح) الحبك، وهو " يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"⁴، فالنص عبارة عن سلسلة من المعاني المعطاة، وترابط تلك المعاني يخضع لمجموعة من الوسائل والعلاقات، وقد اختلفت

¹ محمد خطابي : لسانيات النص ، ص24 .

² ينظر المرجع نفسه ، ص25 .

³ المرجع السابق، ص25 .

⁴ سعد مصلوح : نحو أجرامية للنص الشعري ،دراسة في قصيدة جاهلية ،ص154.

وجهات نظر اللغويين في تحديد الوسائل المحققة للانسجام النصي، فهذا (روبيرت دي بوجراند) يرى أن وسائل الانسجام تشتمل على:

. العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص...

. معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف ، وهذه المعلومات يستنبطها المتلقي من سياق الموقف¹ .

وذهب "بول و براون" إلى أن الانسجام شيء غير معطى في النص وللقارئ مهمة بناءه² ، وقد حددا مبادئ الانسجام كما نقلها محمد خطابي في :

. **السياق وخصائصه** : يتشكل السياق لديهما من : المتكلم/الكاتب، والمستمع/المتلقي ، والزمان والمكان ، ويؤدي دورا فعلا في تأويل الخطاب³ .

. **مبدأ التأويل المحلي** : يعتمد هذا المبدأ على تقييد الطاقة التأويلية لدى المتلقي وتوجيهها إلى التأويل المقصود ، وذلك بالاعتماد على السياق وخصائصه⁴ ، فالنص مفتوح أمام تأويلات المتلقي، والسياق له مهمة تقييد هذه التأويلات وتوجيهها بهدف عدم خروجها عن معطيات النص والسياق ، ويجعل المتلقي يستبعد " التأويل غير المنسجم مع المعلومات الواردة في الخطاب"⁵.

. **التغريض**: "نقطة بداية قول ما"⁶ ، ويرى "محمد خطابي" أنه يتعلق بالارتباط الوثيق بين ما يدور في النص وأجزائه وبين عنوان النص أو بدايته ، باعتبار أن ما سيبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه⁷ .

¹ ينظر : روبرت دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء ، ص 103 .

² ينظر محمد خطابي لسانيات النص ، ص 51 .

³ ينظر : محمد خطابي لسانيات النص ، ص 52 .

⁴ ينظر: المرجع نفسه ، ص 56 .

⁵ المرجع نفسه ، ص 57 .

⁶ ينظر المرجع نفسه ، ص 59 .

⁷ ينظر المرجع نفسه ، ص 59 .

ب/ دور السياق والمتلقي في التماسك النصي :

للسياق دور كبير في بيان التماسك النصي؛ حيث يجعل القارئ على معرفة مسبقة بالنص، مما يخلق لديه نوعاً من المقبولية تجاه ذلك النص؛ تؤدي هذه المقبولية المتشكلة لدى المتلقي وتدفع به إلى الحكم "على النص بالقبول والتماسك"¹، وقد أشار إلى ذلك (روبيرت دي بوجراند) بقوله أن القبول: "يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام"²، فجعل التماسك النصي مقروناً بموقف المتلقي من النص وذلك برجوعه إلى الموقف التواصلية الذي ورد فيه .

إذا كان للمتكم دور في إنتاج النص وتنظيمه ، فإن المتلقي له "دور جوهري في عملية التفسير لا يقل عن دور المنتج"³ ، ولذلك يرى (سعيد بحيري) أن "التماسك النصي تتجلى فيه كفاءة المتكم في عملية إنتاج النص، وكفاءة المتلقي في عملية فهمه وتفسيره"⁴.

ويرى (صباحي إبراهيم الفقي) أن كفاءة المتلقي تتمثل " في معرفته لغة النص وأسلوبه وسياقه"⁵ ، وهذا ما يجعله قادراً على فهم النصوص وتحليلها ثم إعادة بنائها، انطلاقاً من مفاهيمه ومعارفه السابقة والمتراكمة في ذهنه، ومن خلال ما يمكن أن يكتشفه من بنياتها الداخلية عند ربطها بالسياق؛ مما يعطيه قدرة على اكتشاف وإبراز مواطن التماسك ومظاهره، وهذه الكفاءة تمكنه من كشف أبنية النص وأهدافه ودلالاته وإحالاته⁶ ، وإبراز "العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية

¹ أحمد عفيفي نحو النص ، ص 87.

² روبرت دي بوجراند :النص والخطاب والإجراء ،ص 104.

³ حسين بحيري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ،ص 40.

⁴ سعيد حسن بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص ، مجلة علامات النادي الأدبي الثقافي ،جدة (المملكة العربية السعودية) ج 38، م 10، رمضان 1421 هـ ، ديسمبر 2000م، ص 153.

⁵ صباحي إبراهيم الفقي علم اللغة النصي ص 110 .

⁶ ينظر سعيد حسن بحيري ، اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص ، ص 156.

التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبين النص والبيئة المحيطة¹، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تفاعله مع النص²، فالقارئ هو المسؤول عن رصد العلاقات الظاهرية بين أجزاء النص وعناصره ووصفها، واكتشاف "العلاقات المعنوية الضمنية"³ التي تجعل منه وحدة كلية شاملة، ولا يمكنه الكشف عنها إلا من خلال معرفته للسياق .

يمثل كل من السياق والمتلقي "العوامل المساعدة في تحقيق التماسك وفك شفرة النص"⁴، حيث يتضح ذلك مع النصوص التي تظهر مفككة من السطح، إلا أنها لا تلبث حتى يتبين القارئ أن وراءها "بنية عميقة محكمة في تماسكها تفسر تشاكل الأجزاء وتضمن اتساقها مع تشتمتها الخارجي"⁵، مما يوضح لنا أن من أبرز مهام القارئ: "رصد أوجه الترابط والانسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى والبنية الكلية الكبرى التي تجمعها"⁶، فالبنية الكبرى للنص هي التي تكفل تماسكه على مستوى الجمل والأبنية الصغرى، إضافة إلى أنها تساعد المتلقي في عملية فهم وتفسير النص، وهذا ما يجعل التماسك النصي يقترب أكثر من "مجال الفهم والتفسير الذي يضيفه القارئ على النص"⁷، فالمتلقي أثناء القراءة "هو الذي يقوم بعملية فهم وتفسير النص، وقد يلجأ إلى تأويل ما يقال، معتمدا في ذلك على عناصر خارج النص تتعلق بثقافته و إيديولوجيته فيوظف من أجل ذلك ذاكرته للربط بين القضايا التي تؤلف النص"⁸ .

1 صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي، ص96.

2 ينظر عزة شبل : علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر ، ط 2 ، 2009م، ص184.

3 أحد عفيفي : نحو النص ، ص100.

4 صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي، ص97.

5 سعيد حسن بحيري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص121.

6 سعيد حسن بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص ، مجلة علامات ، ص186.

7 المرجع نفسه ص190.

8 نوال خلف : الانسجام في القرآن الكريم - سورة النور أنموذجا - رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، إشراف محمد العيد رتيمة ، جامعة الجزائر (2006/2007م)، ص78.

إن القارئ من خلال ربطه بين أجزاء النص والبيئة المحيطة به يحاول "تأويل النصوص" ¹ التي تبدو مفككة وغير مترابطة بالنظر إلى بنيتها السطحية، وبذلك يصبح مطالبا بنسج شبكة من الدلالات الضمنية في ذهنه منطلقا من سياقات النص المختلفة للوصول إلى بنيته العميقة التي يحكمها التماسك الدلالي، وإذا كان التماسك النصي يقترب من مجال التأويل فإن السياق يقلص عدد التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود ².

نخلص من هذا العرض إلى أن التماسك النصي خاصية جوهرية في النص، تتحقق من خلال عوامل مساعدة تتمثل في المتلقي والسياق المحيط بالنص، مما جعل بعض الباحثين يعتقدون بعدم وجود " نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي ، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم " ³.

¹ المرجع نفسه ص190.

² ينظر : محمد خطابي لسانيات النص ، ص 52 .

³ محمد خطابي لسانيات النص ، ص51.

المبحث الخامس : التماسك النصي من خلال علوم القرآن

نزل القرآن الكريم على سيدنا "محمد صلى الله عليه وسلم" منجما في أوقات وأماكن مختلفة، ولأسباب مختلفة، وقد استغرق نزوله أكثر من عشرين سنة، ومع ذلك فعلماء القرآن يصفونه بأنه " كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"¹، وقد نقل (السيوطي) عن (فخر الدين الرازي) قوله: " القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيب ونظم آياته"²، أي أن إعجاز القرآن كامن في الترتيب ونظم الآيات، وفي هذا السياق يقول (عبد القاهر الجرجاني) عن العرب وموقفهم من القرآن الكريم : " تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى، أو أخلق ، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقاناً وإحكاماً ..."³، وقد كان هذا إجابة عن السؤال الذي طرحه: ما الذي أعجز العرب في النص القرآني ؟ وردّا على القائلين بالصُّرفة، وأن الله صرف العرب وأعجزهم بقدرته عن الإتيان بمثل هذا القرآن.

¹ ينظر جلال الدين السيوطي : الإتقان ج 2 ،ص976.

² ينظر المصدر نفسه ،ج2،ص977.

³ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر ،ص89 .

إن علماء القرآن كان لهم الدور البارز في العديد من الممارسات النصية المتعلقة بالقرآن الكريم، " فعملهم يقوم أساسا على النظرة إلى النص القرآني كاملا، إلى درجة أنهم رأوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة ... فأكدوا تماسكه الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي ... وأيضا أكدوا المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة وجمل النص الواحد ونصوص القرآن كله كذلك " ¹ ، كما اهتموا أيضا بما يحيط به من مواقف متعلقة بنزوله فجاءت نظرتهم إليه شاملة .

استطاع علماء القرآن . ومن بينهم السيوطي . رسم رؤيا شاملة متكاملة حول تحليل النص القرآني ، والخروج من إطار الآية الواحدة إلى البحث عن العلاقات الرابطة بين الآيات المتعددة المشكلة للمقطع القرآني ، وكذلك مجموع المقاطع المشكلة للسورة الواحدة ومجموع السور المشكلة للقرآن كله ، وحاولوا إظهار أوجه الترابط بين هذه الأجزاء ، وقد خصصوا في مصنفاتهم مباحث خاصة بذلك .

لقد خصص (السيوطي) في (الإتقان) مباحث متعلقة بترابط الآيات والسور وتماسكها ، وأوضح ما عبر به عن هذا التماسك هو مباحث علم المناسبات الذي يعد من " أهم مباحث علوم القرآن التي يتجلى من خلالها التماسك النصي في القرآن الكريم " ²، حيث يتضح من خلال هذا العلم مدى ترابط النص القرآني وتماسك أجزائه (الألفاظ ، الآيات والسور) ، فكيف يفسر (السيوطي) هذا الترابط من خلال علم المناسبات ؟ وما هي الآليات والأدوات التي اعتمدها لبيان تماسك النص القرآني ؟ وما دور السياق في ذلك ؟

سنحاول في الفصل الموالي البحث عن آليات تماسك النص القرآني في "كتاب الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي وأثر السياق في هذا التماسك.

¹ صبحي إبراهيم الفقي علم اللغة النصي ، ص 50 .
² نوال لخلف : الانسجام في القرآن الكريم ، ص 123 .

الفصل الثاني: أثر السياق في المناسبة بين الآيات والصور في الإتقان

المبحث الأول : علم المناسبات

المبحث الثاني : علاقة المناسبة بالسياق

المبحث الثالث : المناسبة بين الألفاظ

أ . مناسبة الألفاظ لبعضها البعض

ب . مناسبة الألفاظ لمعانيها

المبحث الرابع : المناسبة بين الآيات

أ . الجمل المعطوفة

ب . الجمل غير المعطوفة : التنظير ، المضادة ،

الاستطراد ، حسن التخلص ،

الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسمع ، السياق

المبحث الخامس: المناسبة داخل السورة الواحدة

أ . مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

ب . مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه

ج . مناسبة اسم السورة لموضوعها

د . مناسبة فاتحة السورة لموضوعها

المبحث السادس: المناسبة بين السور

أ . مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها

ب . علاقة التقابل بين سورتين

يتناول هذا الفصل كيفية تماسك النص القرآني عند "السيوطي" في "الإتقان" انطلاقاً من علم المناسبات ، كما يبين أهمية ودور السياق في بيان أوجه هذا الترابط والتماسك بين أي الذكر الحكيم .

يعد "علم المناسبة" من أهم مباحث علوم القرآن التي تبحث في تماسك النص القرآني ، وتكتشف أهم الآليات و الأدوات التي تساهم في الربط بين أجزائه ؛ بداية بالألفاظ ثم الآيات ثم السور ، ليكون كالكلمة الواحدة . وعلم المناسبة "يبحث في أوجه الترابط بين الآيات والسور في الترتيب الحالي للنص ، وهو ما يطلق عليه ترتيب التلاوة"¹ ، وذلك مقابل ترتيب النزول الذي يختص به (علم أسباب النزول) التي تمثل السياق الاجتماعي للنص القرآني². فما المقصود بالمناسبة؟ وما فائدتها ؟ وكيف يمكن لها أن تبين أوجه الترابط والتماسك بين الآيات والسور ؟ وما العلاقة بين المناسبة والسياق ؟

المبحث الأول : علم المناسبات

أ / مفهوم المناسبة: "هي وجه الارتباط بين الآية والآية التي تليها ، والسورة و السورة التي تليها، وفاتحة السورة وخاتمتها ونحو ذلك. أو هي وجه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض."³

يقول (البقاعي): " وعلم المناسبات تعرف منه علل الترتيب وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب ، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة

¹ نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص ، ص159.

² ينظر : المرجع نفسه ، ص111 .

³ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، دراسات في علوم القرآن الكريم ، ص447 .

النسب¹ ، أما الدلالة اللغوية للفظه فإنها مقترنة بالاتصال؛ يقول (ابن فارس 395 هـ): " النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال الشيء بالشيء. منه النسب² " ؛ واتصال الشئيين يقتضي وجود علاقة تربط بينهما بأي وجه من الوجوه. وعلم مناسبات القرآن يُعنى " بالكشف عن الترابط اللفظي والمعنوي بين أي الذكر الحكيم وسوره³ ، ويبين أن القرآن الكريم وحدة واحدة لا يمكن الفصل بين أجزائه.

ب/ أهميته : لعلم المناسبات أهمية عظيمة وفضل كبير في بيان تماسك النص القرآني ؛ قال (ابن العربي): "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم " ⁴ ، وقال (السيوطي) : " وعلم المناسبة علم شريف ، قل اعتناء المفسرين به لدقته ، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين ، وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط⁵ .

من أبرز المهتمين بهذا العلم "الإمام السيوطي" الذي يرى أن الاتصال بين الآيات والسور راجع إلى معنى رابط بينهما، عام أو خاص، عقلي أو حسي ، أو غير ذلك من العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والضدين ونحوه⁶، وكلها علاقات تساهم في تماسك الآيات مع بعضها بعض، وعلى المفسر في هذه الحالة اكتشاف هذه العلاقات بين الآية و الآية من جهة، وبين السورة والسورة من جهة أخرى ، وذلك بغرض الوصول إلى تماسك كلي بين أجزاء النص القرآني .

¹ البقاعي : نظم الدرر ج 1 ، ص 5.

² أحمد بن فارس :معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة إتحاد الكتاب العرب (1423هـ/2002م) ج 5 ، ص 448.

³ محمد عامر محمد ،أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني ،أطروحة دكتوراه في فلسفة اللغو وآدابها ،جامعة الكوفة

(1432هـ/2011م)، ص 09 .

⁴ ينظر الإتقان ج 2 ، ص 976 .

⁵ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 976 .

⁶ ينظر جلال الدين السيوطي : الإتقان ج 2 ، ص 978 ، وينظر بدر الدين الزركشي البرهان ، ج 1 ، ص 35.

أما فائدة هذا العلم فهي " جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله كحال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"¹.

إن علم مناسبات القرآن علم متجذر في التراث العربي وأول من أظهره هو (أبو بكر النيسابوري ت 324هـ) ؛ فقد روي في "الإتقان" : "أنه كان يقول على الكرسي إذا قُرئ عليه : لما جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه ؟"² ، ويعد السيوطي ممن فصل في هذا العلم ، حيث نجده يستهل حديثه عن المناسبة بين الآيات والسور في "الإتقان" بذكر أشهر من أُلّف في هذا العلم ، ثم آراء العلماء في بيان أهميته وفضله وفائدته، لينتقل إلى تفصيل أنواع المناسبات.

ومن أهم المؤلفين الذين ذكرهم السيوطي:

. أبو جعفر بن الزبير الأندلسي (ت 807 هـ) في كتاب (البرهان في مناسبات ترتيب سور القرآن).

. برهان الدين البقاعي في كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

. فخر الدين الرازي (ت 606 هـ) في (مفاتيح الغيب) أو التفسير الكبير .

. وذكر كتابه الموسوم بـ (تناسق الدرر في تناسب السور)³. وفي هذا الكتاب قام "السيوطي" بتفصيل أوجه المناسبات بين كل سورة والتي تليها في جميع سور القرآن، من الفاتحة حتى الناس، كما اهتم بهذا العلم كل من "بدر الدين الزركشي" في " البرهان في علوم القرآن " ، و "الزمخشري" في الكشف⁴ .

¹ الإتقان ج 2 ، ص 978، البرهان ج 1 ، ص 36 .

² ينظر : الإتقان ج 2 ص 976.

³ ينظر : المصدر نفسه ، ص 976.

⁴ ينظر محمد خطابي لسانيات النص ص 165 .

أما في العصر الحديث فقد اهتم به العديد من العلماء والمفسرين في مؤلفاتهم، نذكر منهم : الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير ، وسيد قطب في ظلال القرآن وسعيد حوى في كتابه الأساس في التفسير¹ .

يتضح لنا أن علماء القرآن، و من بينهم "السيوطي"، كانوا على وعي كبير بقضية ترابط النص القرآني وتلاحم أجزائه ، وأن القرآن الكريم يشكل وحدة واحدة ، فدفعهم ذلك إلى البحث فيه للكشف عن مواطن هذا الترابط ومظاهره ، وإلى البحث عن أهم الأدوات والوسائل التي تحققه وتأثر فيه ، والعلاقة بين المناسبات وأسباب النزول .

المبحث الثاني : علاقة المناسبة بالسياق

¹ ينظر : عبد الله بن مقبل بن ظافر القرني : المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتى الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، قسم الكتاب والسنة ، 1412- 1413 هـ . ص 06 .

ينطلق السيوطي لبيان هذه العلاقة من قاعدة هامة في علم المناسبات ؛
يفصل من خلالها كيفية ارتباط الآيات بعضها ببعض، ويقرر ضرورة معرفة السياق
لبيان أوجه التماسك بين الآيات .

يقول: " قال بعض المتأخرين : الأمر الكلي لعرفان مناسبات الآيات في جميع
القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقى له السورة ، وتتنظر ما يحتاج إليه ذلك
الغرض من المقدمات ... وتتنظر عند إنجاز الكلام في المقدمات ما يستتبعه من
استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له ... فهذا هو الأمر الكلي
المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، فإن عقلته تبين لك وجه النظم
مفصلا بين كل آية وآية وكل سورة وسورة " ¹ .

يعتمد ارتباط الآيات والسور بعضها مع بعض عند السيوطي من خلال هذه
القاعدة على ثلاثة أمور :

أ / سياق السورة أو الغرض الذي سيقى لأجله: يعتبر سياق السورة أهم وسيلة
تساعد المتلقي على اكتشاف العلاقات الرابطة بين الآيات ، وذلك لما له من أهمية
في إظهار أوجه المناسبات بينها ؛ " فمعرفة مقصود السورة لا يتم إلا بمعرفة جميع
جملها وتدبر سياقها من بدايته إلى منتهاه ، فيتوقف معرفة المناسبات على معرفة
السياق " ²، والذي يترتب على المتلقي "في كل آية: أن يبحث أول كل شيء عن
كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك
علم جمٌ، وهكذا في السورة يطلب وجه اتصالها بما سبقها وما سيقى له " ³ . فترتيب

¹ الإتقان ، ج2 ، ص 982 .

² المثني عبد الفتاح : نظرية السياق القرآني ، ص 38 .

³ السيوطي : الإتقان ج2 ص 977 ،

الآيات يقتضي وجود علاقة رابطة بين الآية و التي تليها ولو كانت الآيتين مستقلتين عن بعضهما في الموضوع، وعلى المتلقي في هذه الحال أن يكتشف هذه العلاقة .

إن تجاوز الآيات يخضع إلى وجود سياق معين يضمن ترابطها من خلال غرض السورة وموضوعها؛ فمعرفة الموضوع العام للسورة هو الذي يكشف للمفسر أو المتلقي تلك الروابط التي تجمع بين الآيات، سواء كانت ظاهرة أو ضمنية ، ومن خلالها يتضح وجه التناسب بينها، كأنها حلقات متماسكة في سلسلة يشد بعضها بعضا.

يقول الدكتور (المثنى عبد الفتاح): "بيان وجه مناسبة الآيات : هو بيان وجه انساقها وانتظامها في سياق ما"¹، أي أن سياق السورة يمثل الإطار العام لتناسب وترابط الآيات و " المرحلة الأولى من مراحل التوصل للمناسبة: هي النظر في السياق وفهم معناه أولا ثم البحث عن الرابط ووجه المناسبة "². فكثير من أوجه التماسك بين الآيات يفهم من خلال سياق السورة وأسباب النزول .

ب / فاتحة السورة: أو ما يسميه علماء القرآن "براعة الاستهلال" و "حسن المطلع".

إن أول ما يقرع سمع المتلقي من الكلام هو بدايته، وقد حرص الشعراء والكتاب على حسن المطلع في كلامهم ، فإن كان المطلع حسنا أقبل عليه المتلقي بوعي وإصغاء ، وإن كان خلاف ذلك فإنه يُعرض عليه ولو كان ما بعده حسنا، قال السيوطي : "وقال أهل البيان : من البلاغة حسن الابتداء وهو أن يُتَأَنَّقَ في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان محررا أقبل السامع عليه ووعاه ، وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ

¹ المثنى عبد الفتاح: نظرية السياق القرآني ص40 .

² عبد الرحمن عبد الله سرور المطيري : السياق القرآني وأثره في التفسير مذكرة ماجستير ، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية ، ص266.

وأجزله و أسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً ، وأصح معنًى وأوضحه وأخلاه من التعقيد
1.

إن فاتحة السورة وحسن مطلعها يساعد المتلقي على معرفة موضوعها
وغرضها الأساسي ، ويقدم له مؤشرات للتعرف على هذا الغرض ، وبذلك يسهل
عليه اكتشاف العلاقات الرابطة بين آياتها.

يقول "السيوطي" في "براعة الاستهلال" : " وهو أن يشمل أول الكلام على ما
يناسب الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله " 2 ، فالقضية الأساسية
في الكلام تتضح معالمها الكبرى من مقدماته ، وقد أورد لذلك مثالا في فاتحة النساء ،
قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ ﴾ ، ثم قال: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء 01 . يعلق "السيوطي" على الآية قائلا :
"فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح ، وبراعة الاستهلال ، حيث تضمنت الآية
المفتتح بها ما أكثر السورة في أحكامه : من نكاح النساء ومحرماته ، والمواريث
المتعلقة بالأرحام ، وأنَّ ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ، ثم خلق زوجه منه ، ثم
بثَّ منهما رجالا ونساء في غاية الكثرة " 3 . وبهذا جاءت المواضيع الجزئية في
السورة تفصيلا لما جاء في مطلعها .

كما أن مقدمة السورة تطلع السامع على موضوعها ، وكذلك مطلع القرآن
ومقدمته التي هي الفاتحة (أم القرآن) تشتمل على كل مقاصده ، يقول "السيوطي" :
"افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة لأنها جمعت مقاصد القرآن ولذلك كان من أسمائها

1 السيوطي الإتقان ، ج 2 ، ص 969 .

2 الإتقان ج 2 ، ص 970 .

3 المصدر نفسه ص 988 .

أم القرآن وأم الكتاب والأساس ، فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال ¹ ومدار تلك المقاصد متضمنة في أربعة علوم كما فصلها في "الإتقان" :

. علم الأصول : ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة بـ ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) ﴾. ومعرفة النبوات، وإليه الإشارة بـ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ ﴾. ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة بـ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) ﴾.

. علم العبادات : وإليه الإشارة بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾.

. علم السلوك : وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية ، وإليه

الإشارة بـ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) ﴾.

. علم القصص : وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ؛ وأشار

إلى ذلك بقوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

(7) ﴾ ، وهذه جملة مقاصد القرآن التي تضمنتها الفاتحة² ، ونقل عن الطيبي (عبد

الله بن محمد الطيبي ت 743 هـ) قوله : " وجميع القرآن تفصيل لما أجملته

الفاتحة فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً، فإنها واقعة في مطلع

التنزيل"³.

ج/ مراعاة حال السامع(المتلقي) : للمتلقي دور هام في عملية فهم الكلام؛ يساعده

ذلك على اكتشاف مواطن الترابط بين الآيات مع بعضها، وبينها وبين موضوع

السورة؛ إلا أن هناك بعض الآيات يصعب على المفسر معرفة وجه ارتباطها مع

بعضها، وهذا يفرض عليه العودة إلى السياق الخارجي للنص والمتمثل في أسباب

النزول؛ فمعرفة " وجه المناسبة متوقف على أسباب النزول"⁴. وأسباب النزول تزيل

¹ جلال الدين السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط1 ، 1406هـ / 1986 م، ص61 .

² ينظر الإتقان في علوم القرآن ، ج2، ص971 .

³ ينظر : السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 62 .

⁴ بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص34.

اللبس والغموض عن كثير من الآيات وتجعلها في متناول فهم المفسر ومن خلالها تتبين له أوجه مناسبات الآيات لبعضها .

أشار (السيوطي) إلى المتلقي ودوره في فهم الكلام في كثير من المواضع في "الإتقان" ، وما كان ذلك إلا ليقينه بأهميته في فهم النص ، وقد استعمل للدلالة على ذلك لفظ (السامع) ، كما قرن فهم المتلقي بالسياق في مقام بيان مرجع الضمير في قوله : "وقد يدل عليه السياق فيضمّر ثقة بفهم السامع"¹ . فكان فهم السامع انطلاقا من معرفته بسياق الآية مُعينا له على معرفة مرجع الضمير .

يتبين لنا أن للسياق دور كبير في بيان كيفية ارتباط الآيات بعضها مع بعض ، فهو يساعد المتلقي على الإحاطة بالنص القرآني من كل جوانبه الداخلية والخارجية لاكتشاف مواطن تماسكه وبيان قوة ارتباطه ، وسيوضح ذلك أكثر . إن شاء الله . عند التمثيل بآيات قرآنية في أنواع المناسبات . والمباحث الموالية تفصيل لهذه الأنواع متدرجة من الألفاظ ثم الآيات إلى السور ؛ فمنها المناسبة بين الألفاظ في الآية الواحدة ، والمناسبة بين الآيات داخل المقطع والسورة ، والمناسبة داخل السورة الواحدة ، والمناسبة بين السور .

المبحث الثالث: المناسبة بين الألفاظ

¹ جلال الدين السيوطي ، الإتقان ، ج 1 ، ص 598 .

فصل السيوطي القول في أنواع المناسبات في "النوع الثاني والستين" من مباحث "الإتقان" ، والملاحظ على هذه الأنواع أن بعضها يختص بالجانب الشكلي في الآيات والسور ، والبعض الآخر يختص بالجانب الدلالي فيها ، ومن خلال تتبع مبحث المناسبات نجد أن حديث "السيوطي" فيه كان حول نوعين من المناسبات : مناسبة الآيات لبعضها بعض ومناسبة السور ، إلا أن المتمعن في المباحث الأخرى للإتقان يجد نوعاً آخر من المناسبات ، ذكره في (النوع الثامن والخمسين) في (بديع القرآن) ، هو التناسب بين الألفاظ في الآية الواحدة، وذلك في إطار حديثه عن (ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى)¹ .

يتضمن هذا النوع قسمين ؛ أحدهما يختص بمناسبة الألفاظ لبعضها بعض في إطار سياق النص ، والآخر يختص بمناسبة الألفاظ لمعانيها في إطار سياق الموقف .

أ/ مناسبة الألفاظ لبعضها: يتحقق هذا داخل الآية الواحدة، وهو : " أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً ، بأن يقرب الغريب بمثله ، والمتداول بمثله ، رعاية لحسن الجوار والمناسبة "² ، وقد اعتمد "السيوطي" لبيان هذا النوع معيار التداول في الاستعمال والغرابية، وقد أورد لذلك مثالا من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (85) يوسف * .

يعلق السيوطي على هذه الآية بأن الله عز وجل استعمل أغرب الألفاظ لنتناسب مع بعضها؛ فالتاء أغرب ألفاظ القسم وهي أقل تداولاً من الباء والواو ، و(تفتأ) أغرب من (تزال) الأكثر تداولاً ، و(الحرص) أغرب ألفاظ الهلاك ، وذلك

¹ ينظر : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 911 .

² المصدر نفسه : ج 2 ، ص 911 .

* الحرص : قال ابن فارس المُشرف على الهلاك ، معجم مقاييس اللغة ، ج 2 ، ص 43 .

توخيا لحسن الجوار ورعاية لتناسبها في النظم ¹ ، وفي مقابل ذلك " أتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها " ² في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ الأنعام 109 . يقول : " فافتضى حسن الوضع في النظم أن تجاوز كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة ، توخيا لحسن الجوار ، ورعاية في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعدل الألفاظ في الوضع وتناسب في النظم " ³ .

وقاله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27)﴾ السجدة . يعلق "السيوطي" على الآيتين قائلاً : " فأتى في الأولى بـ﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾ وختمها بـ﴿يَسْمَعُونَ﴾ لأن الموعظة فيها مسموعة، وهي أخبار القرون . وفي الثانية بـ﴿يَرَوْا﴾ وختمها بـ﴿يُبْصِرُونَ﴾ لأنها مرئية " ⁴ فجاءت المناسبة اللفظية بين أخبار القرون الأولى والسماع ، وبين الرؤية والبصر .

ب/ مناسبة الألفاظ لمعانيها: "أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإن كان فخما كانت ألفاظه فخمة، أو جزلا فجزلة، أو غريبا فغريبة أو متداولاً فمتداولة أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك " ⁵، و تلاؤم الألفاظ مع معانيها يكون بما يقتضيه مقام استعمالها، فإن كان المقام مقام تخويف وترهيب استعمل ألفاظا دالة على التخويف والترهيب ، وإن كان مقام ترغيب استعمل ألفاظا دالة على ذلك .

¹ ينظر : الإتقان : ج 2 ، ص 912 .

² المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 912 .

³ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 912 .

⁴ المصدر نفسه ج 2 ، ص 952 - 953 .

⁵ المصدر نفسه ج 2 ، ص 911 .

ومن الأمثلة التي ذكرها (السيوطي) في مناسبة الألفاظ لمعانيها؛ قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ **هود: ١١٣** ، يقول: "لما كان الركوب إلى الظالم . هو الميل إليه والاعتماد عليه . دون مشاركته في الظلم . وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأتى بلفظ المس الذي هو دون الإحراق والاصطلاء"¹، فالظالم جزاؤه الإحراق بالنار أما الذي يميل إليه فجزاؤه المس دون الإحراق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ **الشعراء: 94**، فقوله:

﴿ فَكُبِّبُوا ﴾ "أبلغ من (كُتِبُوا) للإشارة إلى أنهم يكونون كبا عنيفا فضيعة"² ، وذلك لما يقتضيه مقام الإلقاء في جهنم من القوة والعنف . وقوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ **فاطر: ٣٧**، "فإنها أبلغ من يصرخون للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخا منكرا خارجا عن الحد المعتاد"³ من شدة العذاب والألم .

أعطى السيوطي مثالا آخر وذكر فيه اختلاف إيراد الألفاظ باختلاف مقام استعمالها وذلك في بيان الفرق بين موقف سقي الماء في الدنيا وسقيه في الآخرة فقال: "فإن (سقى) لما لا كلفة معه في السُّقيا ، ولهذا أورده تعالى في شراب أهل الجنة فقال: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ **(21) الإنسان: ٢١**، و(أسقى) لما فيه كلفة، ولذا أورده في شراب الدنيا، فقال: ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ **(27) المرسلات**، ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ **الجن: ١٦**، لأن السُّقيا في الدنيا لا تخلو من الكلفة أبدا"⁴، وقال الأصفهاني: "الإسقاء أبلغ من السقي ، لأن الإسقاء أن يجعل له ما

¹ الإتقان ج 2، ص 912.

² المصدر نفسه : ج 2 ، ص 912.

³ المصدر نفسه ج 2 ، ص 912.

⁴ المصدر نفسه ج 2، ص 913.

يسقي منه ويشرب ، والسقي أن يعطيه ما يشرب " ¹ ، فكان كل لفظ مناسباً لمعناه في إطار الموقف الذي استعمل فيه ، فاختلف اللفظ الدال عن السقي في الدنيا عن اللفظ الدال عليه في الآخرة.

ومثل هذا ما أورده في الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا﴾ البقرة: ٦٠، وقوله: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ الأعراف: ١٦٠، قال السيوطي: " لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فناسب سياق ذكر النعم التعبير به " ²، ففي الآية الأولى ذكر سبحانه وتعالى مجموعة من النعم التي منّا على بني إسرائيل، وذلك بعد قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (47) البقرة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (3) آل عمران، " لأن الكتاب أنزل منجماً ، فناسب الإتيان بـ ﴿نَزَّلَ﴾ الدال على التكرار ، بخلافهما أنهما أنزلاً دفعة واحدة " ³، أي التوراة والإنجيل ، فجاءت هذه الألفاظ مناسبة لمعانيها في إطار الموقف الذي وردت فيه.

المبحث الرابع: المناسبة بين الآيات

¹ ينظر الإتقان : ج 1 ، ص 623 .

² المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 989.

³ المصدر نفسه ج 2، ص 999.

يرى (السيوطي) أن ارتباط الآيات ببعضها يكون إما ارتباطاً ظاهراً؛ تأتي فيه الآية توضيحاً لما سبقها " على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البذل"¹، ولم يُفصل الكلام في هذا القسم .

أما القسم الثاني : فهو ارتباط غير ظاهر؛ تكون فيه الجملة وكأنها مستقلة عن الأخرى ولا علاقة بينهما؛ إلا أن السيوطي يبين علاقة الربط بين الجملتين وذلك من خلال العطف؛ فإما أن تكون الجملة معطوفة بأحد حروف العطف أو غير معطوفة .

. **الجملة المعطوفة:** لا بدا أن يكون للعطف جهة جامعة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) ﴾ **الحديد** .

وجه العطف بين هذه الجمل هو التضاد بين الولوج والخروج، والنزول و العروج، وشبه التضاد بين السماء والأرض، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَفْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245) ﴾ **البقرة**، فوجه العطف هو التضاد بين القبض والبسط².

بيّن السيوطي أن هذه الجمل متماسكة عن طريق عطف بعضها على بعض، كما بين أن العطف يتحقق بعدة علاقات منها التضاد؛ فالتضاد هو العلاقة الرابطة بين تلك الجمل المتتالية، ويُعقّب على ذلك بقوله: "ومما الكلام فيه التضاد: ذكر الرحمة بعد العذاب، والرغبة بعد الرهبة؛ وقد جرت عادت القرآن إذا ذكر أحكاماً ذكر

¹ السيوطي، الإتقان :ج2، ص978.

² ينظر المصدر نفسه ج2، ص987.

بعدها وعدا ووعدا ليكون باعنا على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الأمر والنهي¹.

. **الجملة غير المعطوفة:** يرى "السيوطي" ضرورة وجود "دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط"² بين الجمل التي لا يظهر بينها وجه ارتباط، وجعل لهذا الربط أسبابا متصلة بعدة علاقات هي:

أ/ **التنظير:** وهو إلحاق النظر بالنظير، ويمثل لعلاقة التنظير بقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6) ﴾ الأنفال. وقد ذكر الله هذه الآية بعد قوله: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) ﴾ الأنفال.

يلحق السيوطي على ذلك بقوله: " فإن الله تعالى أمر رسوله بأن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم كارهون، والقصد أن كراحتهم لما فعله في قسمة الغنائم ككراحتهم للخروج، وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام، فكذا يكون فيما فعله في القسمة، فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم"³.

ذكر الله عز وجل في بداية السورة موقف الصحابة في الأنفال (غنائم الحرب) وما حدث في قسمتها، وذكر بعده خروج النبي . صلى الله عليه وسلم . مع المؤمنين لقتال المشركين وهم كارهون لهذا الخروج، وقد تقطّن "السيوطي" إلى وجه

¹ السيوطي الإتقان ج 2، ص 978.

² المصدر نفسه ج 2، ص 978.

³ المصدر نفسه ج 2، ص 979.

المناسبة بين الآيتين ، وذلك بعلاقة التنظير ، ومرجع معرفة وجه المناسبة بين الآيات هو معرفة سياق الموقف المتمثل في أسباب النزول ، فقد روى "السيوطي" سبب نزول هذه الآية في (لباب النقول في أسباب النزول) أن المسلمين بعد خروجهم في طلب قافلة قريش ، طلب الرسول . صلى الله عليه وسلم . رأيهم فقالوا : " يا رسول الله ما لنا طاقة بقتال القوم إنما خرجنا للعرير " ¹ ، وبمعرفة سبب النزول تمكن السيوطي من الربط بين الآيتين؛ والربط يتمثل في المناظرة بين كراهة المسلمين للقتال وكراهتهم لما فعله . الرسول صلى الله عليه وسلم . في قسمة الغنائم بعد رجوعهم من الحرب .

ب/ المضادة: وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) ﴾ البقرة . بين "السيوطي" وجه الارتباط بين هذه الآية وما قبلها بقوله : " فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن ، وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عَقَّبَ بحديث الكافرين؛ فبينهما جامع وهمي بالتضاد " ² ، وبذلك كان وجه المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها هو الحديث عن المؤمنين الذي يلزمه من سياق الكلام الحديث عن الكافرين للمقابلة بينهما أو لبيان الضد بال ضد ³ .

ج/ الاستطراد : وهو أن " تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه، فإنك لم تقصده إنما عرض عروضاً " ⁴ ، وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ

¹ جلال الدين السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت (لبنان) ط1، (1422هـ / 2002م) ص122.

² الإتقان ، ج2، ص979.

³ ينظر المصدر نفسه ج 2 ، ص979.

⁴ المصدر نفسه ، ج2 ، ص981.

وَرِبِشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (26) ﴿

الأعراف، نقل (السيوطي) عن (الزمخشري) أن " هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر السوءات وخصف الورق عليها ، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ، ولما في العُري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى "1.

وردت في الآيات السابقة لهذه الآية قصة آدم وحواء في الجنة ووسوسة إبليس لهما حتى أكلا من الشجر، وما انجر عن الحادثة من ظهور العورات ، ثم إخراجهم من الجنة واستقرارهم في الأرض . بعد ذلك خرج الحديث عن هذه القصة إلى بيان ضرورة الستر وعدم كشف العورات في الآية المذكورة، ليعود بعدها إلى ذكر الموضوع الأول وهو وسوسة الشيطان لآدم وحواء وكيف نزع عنهما لباسهما، وذلك لبيان ما للعري من الفضيحة والمهانة وضرورة ستر العورات، ثم عاد للحديث عن القصة الأولى من جديد . فالقصة كلها عن آدم وحواء ووسوسة إبليس لهما، وقد تخللها خطاب لبني آدم في ضرورة الستر، وذلك على سبيل الاستطراد .

د/حسن التخلص : " وهو أن ينتقل مما ابتدأ به الكلام المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا ... بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه المعنى الثاني، لشدة الالتئام بينهما "2، ومن ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87)﴾ ، فتخلص منه إلى ذكر المعاد بقوله : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)﴾ الشعراء: ، فالآية الثانية جاءت وصفا ليوم البعث المذكور في الأولى، مما يوحي بالترابط بينهما .

¹ ينظر : . السيوطي الإتقان ، ج2 ، ص980،979.

. الزمخشري الكشاف ج2، ص 435.

² السيوطي الإتقان ج2، ص980.

هـ/الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع: يكون هذا التنشيط بذكر اسم الإشارة (هَذَا) للربط بين الحديثين، " كقوله تعالى في سورة ﴿ص﴾ بعد ذكر الأنبياء: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49) ﴾ سورة (ص)، فإن هذا القرآن نوع من الذكر، لما انتهى من ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها، ثم لما فرغ قال ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (55) ﴾ سورة (ص)، فذكر النار وأهلها " ¹.

جاءت الآيات السابقة لهذه الآية حديثا عن الأنبياء (داود وسليمان وأيوب وإبراهيم وإسحاق و يعقوب و إسماعيل ...) ، فلما فرغ من ذكر هؤلاء انتقل إلى ذكر المتقين وما لهم من جزاء في الجنة وربط بينهما بقوله : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾، ثم انتقل إلى الحديث عن الطاعين باستعمال نفس اسم الإشارة (هذا)، يقول الزركشي: "فأكد تلك الأخبار باسم الإشارة، تقول : أشير عليك بكذا ، ثم تقول بعده : هذا الذي عندي والأمر إليك " ²، ويعلق محمد خطابي على ذلك بقوله: "والواقع أن اسم الإشارة هنا قام بربط اللاحق بالسابق . رغم الانتقال . وفي الوقت نفسه أذن بانتهاء الكلام السابق وأنه أخذ في كلام آخر " ³، وبالتالي يكون اسم الإشارة قام بنقل ذهن المتلقي من الكلام الأول وأعطاه نفسا جديدا لتلقي الكلام التالي، فجاء الربط بين الحديثين بتنبيه المتلقي وتنشيطه لاستقبال الحديث الجديد .

و/السياق : يعد السياق من أهم الأسباب التي لها دور في الربط بين الآيات، وقد صرح "السيوطي" بذلك في حديثه عن أسباب النزول بقوله: " قد تنزل الآيات على

¹ المصدر السابق : ج2، ص981.

² بدر الدين الزركشي ج1، ص50.

³ محمد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص194.

الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة ، رعاية لنظم القرآن وحسن السياق ¹ ، فدل هذا على أن للسياق أثر في مناسبة الآيات لبعضها.

وفي ذلك يقول الزركشي: "وجه المناسبة متوقف على معرفة سبب النزول"²، أي أن معرفة سبب النزول يساعد المفسر على اكتشاف المناسبة بين الآيات .

إذا كانت الآيات التي ذكرناها في العلاقات السابقة لم تحتج إلى معرفة أسباب نزولها لبيان أوجه ارتباطها، فإن "اكتشاف المناسبة يحتاج في بعض الآيات إلى معرفة سبب النزول من أجل اكتشاف المعنى والدلالة الذي يساعد المفسر على اكتشاف وجه الترابط أو المناسبة"³ بينها، ومثال ذلك ما أورده السيوطي في بعض الآيات التي ربط بينها انطلاقا من أسباب نزوله ومنها :

1 . آية الأهله : قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189) ﴾ البقرة .

في بداية تعليقه على الآية يتساءل السيوطي عن الرابط بين أحكام الأهله وحكم إتيان البيوت من ظهورها، ثم يجيب عليه بقوله : "أنه من باب الاستطراد ، لما ذكر أنها مواقيت للحج وكان هذا من أفعالهم في الحج . كما ثبت في سبب نزولها . ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال ، كما سئل عن ماء البحر فقال (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)"⁴.

إضافة إلى الإجابة عن سؤال الأهله؛ قدم الله عز وجل جوابا آخر لمسألة متعلقة بعادة من عادات العرب في الجاهلية، وهي مجيء البيوت من خلفها، وقد

¹ السيوطي الإتقان ج1، ص98.

² البرهان في علوم القرآن ج1، ص34.

³ نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، ص171 .

⁴ السيوطي الإتقان ج2، ص984

استند "السيوطي" للكشف عن وجه التناسب بين المسألتين على سبب النزول كما صرح بذلك .

كان سبب النزول أمرا مساعدا له على معرفة وجه التماسك بين حكم الأهله وحكم إتيان البيوت من ظهورها ، فقد روي في سبب نزولها : " عن البراء قال : كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ ﴾¹، وروى الزركشي : "أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب؛ فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلماً يصعد منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء، فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب؛ ولكن البر من اتقى ما حرم الله، وكان من حقهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهله"².

من خلال معرفة سبب نزول الآية وعادة العرب في الإحرام قبل الإسلام؛ اتضح للسيوطي وجه المناسبة بين السؤال عن الأهله وإتيان البيوت من ظهورها ، فكان سياق الموقف سببا في بيان وجه التماسك بين الأمرين .

2. آية الأمانة وخيانة اليهود لها : قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ النساء(51).

روى "السيوطي" في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في (كعب بن الأشرف) وعلماء اليهود؛ لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر، حرصوا المشركين على الأخذ

¹ ينظر : جلال الدين السيوطي :

– أسباب النزول ، ص34.

– الدرر المنثور في التفسير بالمأثور تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجرة للدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، ط1 (1424هـ / 2003م) ، ج 2 ، ص 307 .

– البخاري : صحيح البخاري (كتاب التفسير) مجلد 3 ، ص 140- 141 ،

² بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص41.

بثأرهم ومحاربة النبي . صلى الله عليه وسلم . فسألهم كفار قريش: من أهدى سبيلا ؟ محمد وأصحابه أم نحن؟ قالوا أنتم أهدى سبيلا؛ مع علمهم بما في كتابهم من نعت الرسول . صلى الله عليه وسلم . بأنه على حق ، وقد أعطوا المواثيق ألا يكتموا شيئا مما في كتابهم، فكان ذلك أمانة لازمة منهم ، ولم يؤدوها بقولهم للكفار أنتم أهدى سبيلا ؛ حسدا للنبي . صلى الله عليه وسلم . وقد تضمنت هذه الآية خيانة اليهود للأمانة التي حُمِّلُوها وهي بيان صفة النبي . صلى الله عليه وسلم . الموصوف بها في كتابهم¹ .

وذلك "مناسب لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء ٥٨، فهذا عام في كل أمانة ، وذاك خاص بالأمانة التي حملها اليهود ثم خانوها وهي صفة النبي . صلى الله عليه وسلم . بأنه على الحق والمشركون على ضلال، والمناسبة تقضي دخول ما دل عليه الخاص في العام " ²، وقد نقل في بيان وجه المناسبة بينهما قول ابن العربي: "وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقولهم : إن المشركين أهدى سبيلا ، فكان ذلك خيانة منهم ، فانجرَّ الكلام إلى ذكر جميع الأمانات " ³ ، وبذلك كان سبب نزول الآية سببا مساعدا في معرفة وجه مناسبتها للآية التي تليها .

ومن الآيات التي كان لسياق الموقف دور في معرفة وجه تناسبها مع ما يجاورها من آيات قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16)﴾ القيامة، فقد روى "السيوطي" في (أسباب النزول) عن (ابن عباس) أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . كان " إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله: ﴿لَا

¹ ينظر الإتقان : ج1، ص99.

² المصدر نفسه: ج1، ص99.

³ المصدر نفسه ، ج1 ص 99.

تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَاجِلَ بِهِ¹، وقد كانت الآيات التي قبلها حديثاً عن يوم القيامة، فقطعها بهذه الآية إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) ﴾ **القيامة** ، ثم عاد إلى تكملة ما ابتدئ به، وقد نقل السيوطي عن الفخر الرازي تفسيره لهذه الآية بقوله: " ونحوه ما لو ألقى المدرس على الطالب مثلاً مسألة، فنتشاغل الطالب بشيء عرض له، فقال له: ألقى إلي بالك وتفهم ما أقول، ثم كَمَلْ المسألة " ²، فلا يكون بذلك قطع للحديث الأول وإنما تنبيه للمتلقي إلى الفهم والتدبر ، فكان لمعرفة سياق الآية دور في بيان ارتباطها بالآيات السابقة والتالية لها .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره (الزركشي) في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) ﴾ **الغاشية**، حيث يتساءل عن الجامع بين الإبل والسماء والجبال والأرض بهذا الترتيب ؟ والجواب أن الجمع بينها على هذا الترتيب راجع إلى ما جرت به عادة أهل البادية؛ قال : " فإن كان انتفاعهم في معاشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب، وذلك بنزول المطر، وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثم لا بد من مأوى يؤويهم، وحصن يتحصنون به، ولا شيء في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم . لتعذر طول مكثهم في منزل . عن التنقل من أرض إلى سواها، فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور " ³، وبهذا كانت معرفة حال العرب وعاداتهم في البادية عاملاً مساعداً على معرفة الحكمة من ذكر هذه الأمور بهذا الترتيب وارتباط بعضها ببعض في الآية.

¹ جلال الدين السيوطي : أسباب النزول ، ص 281.

² ينظر : جلال الدين السيوطي : الإتقان 2 ج، ص 983 - 984.

³ بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 1، ص 45.

المبحث الخامس: المناسبة داخل السورة الواحدة

نذكر في هذا النوع أربعة أقسام: مناسبة فاتحة السورة لخاتمها، مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه، مناسبة اسم السورة لموضوعها، ومناسبة فاتحة السورة لموضوعها :

أ/ مناسبة فاتحة السورة لخاتمها: وهو وجود ارتباط بين بداية السورة وخاتمها؛ مما يوحي بتماسكه وارتباط أجزائها من البداية حتى النهاية مهما اختلفت وتعددت المواضيع الجزئية التي تحدثت عنها، وقد قدم السيوطي في الإتقان عدة أمثلة منها :
 . سورة القصص: قال تعالى: ﴿ طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَشَأُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَاٍ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) ﴾ القصص .

بدأت السورة بذكر أمر موسى عليه السلام مع فرعون وقوله : ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17) ﴾ القصص، ثم خروجه من وطنه؛ ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) ﴾ القصص، وختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا يكون ظهيرا للكافرين؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (86) ﴾ القصص ، وتسليته عن إخراجهم من مكة ووعده بالعودة إليها: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ القصص 85، كما وعد أم موسى برده إليها بعد إلقائه في اليم؛ في أول السورة ، فقال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا

خَفَّتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
(7) ﴿ القصص ¹ .

جاءت المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها مُبَيَّنَةً بالمقابلة بين قصة موسى عليه السلام مع فرعون وخروجه من مصر ، وقصة الرسول . صلى الله عليه وسلم . مع قومه و إخراجهم من مكة إلى المدينة .

ذكر الله عز وجل في بداية السورة أمورا متعلقة بسيدنا موسى عليه السلام وهي : خروجه من وطنه ، وقوله: ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ ، ووعد أم موسى برده إليها ، وفي خاتمتها ذكر أمورا متعلقة بقصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه وهي : إخراجهم من مكة ، وأمره بأن لا يكون ظهيرًا للكافرين * ، ثم وعده بالعودة إلى مكة بعد الخروج منها ، فهذه أوجه المناسبة بين بداية السورة وخاتمتها.

. سورة المؤمنون : نقل السيوطي في ذلك قول الزمخشري : " وقد جعل الله فاتحة السورة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) ﴾ المؤمنون ، وأورد في خاتمتها ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117) ﴾ المؤمنون " ².

ذكر الله الفلاح في بداية السورة ونسبه إلى المؤمنين ، وأعاد ذكره في الخاتمة ونفاه عن الكافرين ، فكانت المناسبة بين الفاتحة والخاتمة قائمة على علاقة التضاد .

. سورة ص : بدأها بالذكر في قوله: ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) ﴾ ص وختمها به في قوله: ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) ﴾ ص ¹.

¹ ينظر الإتقان : ج2، ص 985 .
* ظهيرا : معينا ونصيرا
² السيوطي الإتقان : ج2، ص985.

. سورة القلم : بدأها بقوله: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) ﴾ **القلم**، وختمها بقوله ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) ﴾ **القلم**².

لما انتشر خبر الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة وبدأت دعوته تظهر، أصبح يشكل تهديدا على كفار قريش، ولغرض صد الوافدين إلى مكة عنه وعن دعوته؛ اتهمته قريش بالجنون، كعادة سائر الأقوام الكافرة مع رسلهم، وقد أراد الله عز وجل أن يبرئه من هذا الوصف فقال في فاتحة سورة القلم: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ، وهذا نفي لما اتهمه به الكفار، وقد ذكر هذا الاتهام في خاتمة السورة بقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾، فكانت المناسبة بين الفاتحة والخاتمة بأن نفي الله عز وجل في بداية السورة صفة الجنون عن رسوله الكريم التي وصفه بها الكفار وذكرها الله على لسانهم في خاتمة السورة .

ب/ مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه : نقل السيوطي قول الزركشي في افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدأت به ؛ قال : " وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له، فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها، فلو وضع (ق) في موضع (ن) لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله " ³، ونماذج ذلك متعددة :

. سورة ﴿ ق ﴾ : " بُدِئَتْ به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف ؛ من ذكر القرآن والخلق، وتكرير القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين، وقول

¹ ينظر : الإتقان ج 2 ، ص 985 .

² ينظر : المصدر نفسه ج 2، ص 985 .

³ المصدر نفسه : ج 2، ص 989 .

العتيد، والرقيب والسائق والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين، والقلب والقرون، والتتقيب في البلاد وتشقق الأرض وحقوق الوعيد وغير ذلك ¹.

. سورة يونس: قال " وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيه الراء مائتا كلمة أو أكثر ، فلهذا افتتحت ب ﴿الر﴾ ² .

. سورة ﴿ص﴾: قال: "واشتملت سورة ﴿ص﴾ على خصومات متعددة" ³، هي :

* خصومة النبي . صلى الله عليه وسلم مع الكفار ؛ قال تعالى : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5)﴾ سورة ص .

* اختصام الخصمين عند داوود: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22)﴾ ص .

* تخاصم أهل النار : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64)﴾ ص .

* اختصام الملائكة الأعلیٰ: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69)﴾ .

* تخاصم إبليس في شأن آدم : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76)﴾ سورة ص .

¹ المصدر السابق :ج2، ص989 .

² المصدر نفسه: ج 2، ص 990 .

³ المصدر نفسه ج 2 ، ص990 .

. سورة القلم : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) ﴾ . إن فواصل السورة مبنية على الحرف الذي بدأت به وهو حرف النون، وبعضها مبني على حرف الميم وهما متقاريان ، وفي ذلك قال "السيوطي" : " حروف الفواصل إما متماثلة أو متقاربة " ¹.

ج/ مناسبة اسم السورة لموضوعها :

يرى السيوطي أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء ، أو من خُلق أو صفة تخصه ، " ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء السور" ². وغالب أسماء سور القرآن مشتقة من شيء مذكور فيها أو من موضوعها العام؛ ومن ذلك " تسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة قصة البقرة وعجيب الحكمة فيها ، وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها شيء كثير من أحكام النساء ، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ... وكذلك سورة المائدة ؛ لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها " ³ . والأمثلة من ذلك كثير ؛ كسورة يوسف ، النحل ، الإسراء ، الكهف ، مريم ...

د/ المناسبة بين فاتحة السورة وموضوعها

بالموازاة مع ذكر السيوطي للمناسبة بين اسم السورة وموضوعها، بيّن أوجه المناسبة بين فواتح بعض السور وبين مواضيعها، ومن ذلك تساؤله عن الحكمة من افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد ؟ ثم يجيب عن ذلك بقول الزمكاني: "بأن سورة ﴿ سُبْحَانَ ﴾ لما اشتملت على الإسراء الذي كذب به المشركون النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى ، أتى بـ (سبحان)

¹ الإتقان ج 2، ص 965 .

² الإتقان ج 1 ، ص 177 .

³ المصدر نفسه ج1، ص177

لتنزيه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب ، وسورة الكهف : لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحي، نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته على نبيه ولا عن المؤمنين، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة ¹، فكانت معرفة وجه التناسب بين فاتحة الكهف ومقصدها ؛ مستندة إلى معرفة سبب النزول مما مكنه من الربط بين الفاتحة وموضوع السورة .

ومن تناسب فاتحة السورة وموضوعها ما أورده في السور المفتحة ﴿الم﴾ ²؛ قال: " جمعت المخارج الثلاثة : الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها ، وذلك إشارة إلى البداية التي هي بداية الخلق، والنهاية التي هي بدء الميعاد، والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي ، وكل سورة افتتحت بها مشتملة على الأمور الثلاثة ³ (بداية الخلق والمعاد والشرائع) .

وقال: " الأعراف زيد فيها الصاد على ﴿الم﴾ لما فيها من شرح القصص؛ قصة آدم فمن بعده من الأنبياء ⁴، قال : وزيد في الرعد "راء" لأجل ﴿ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ ﴾ ، ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما ⁵ .

ومن أمثلة التناسب بين فاتحة السورة وموضوعها ، ما ذكرناه في سورتي الفاتحة و النساء ضمن مبحث براعة الاستهلال وحسن المطلع .

المبحث السادس : المناسبة بين السور

ينطلق "السيوطي" لبيان هذا النوع من التناسب من اقتناعه بأن ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف ترتيب توقيفي من الله عز وجل ¹؛ فقد نقل عن أبي بكر

¹ الإتقان ج2، ص 993 .

² المصدر نفسه ج2، ص 990 .

³ المصدر نفسه ج2، ص 990 .

⁴ المصدر نفسه ج 2، ص 990 .

الأنباري قوله : " أنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر، ويؤقّف جبريل النبي . صلى الله عليه وسلم . على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، كله من النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن "2.

ونقل عن " الكرمانى " قوله : " ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، وعليه كان . صلى الله عليه وسلم . يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين "3، وقد صرح بذلك في " تناسق الدرر " بقوله : " فالحاصل أني أقول ترتيب كل المصاحف بتوقيف، واستقر التوقيف في العرصة الأخيرة على القراءة العثمانية "4.

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من وجود علاقة رابطة بين الآيات والسور المتجاورة، ولذلك فالسيوطي يرى أن لكل سورة وجه مناسبة مع السورة التي تليها، وقد أفرد لذلك مصنفاً من مصنفاته سماه " تناسق الدرر في تناسب السور "، عمد فيه إلى البحث عن أوجه المناسبة بين جميع سور القرآن في ترتيبها الحالي في المصحف ، ورأى أن جميع السور متماسكة مع بعضها من بداية الفاتحة حتى خاتمة الناس ، والقاعدة التي استمد منها هذا الحكم هي قاعدة الإجمال والتفصيل؛ يقول: " القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناؤ لإيجازه، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها و قصيرها "

¹ ينظر الإتقان ج1، ص198 .

² ينظر المصدر نفسه : ج 1 ، ص195 .

³ ينظر المصدر نفسه : ج 1 ، ص 195 .

⁴ السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ، ص61 .

¹ ، و بهذه القاعدة تأكدت عنده أهم العلاقات الرابطة بين السور، وقد تكون هذه العلاقات ظاهرة أو خفية ومنها :

أ/ مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها: قال: "إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى"²، والمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي تليها يقصد بها موافقة خاتمة كل سورة لفاتحة التي تليها في اللفظ أو في المعنى .

. **اللفظ** : ومن ذلك افتتاح سورة الحديد بالتسبيح؛ وذلك موافق للأمر به في خاتمة الواقعة ³ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96) ﴾ الواقعة، وفي فاتحة الحديد قال: ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) ﴾ الحديد.

ومن ذلك ما ذكره في "تناسق الدرر" في المناسبة بين خاتمة آل عمران وفاتحة النساء، فسورة آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200) ﴾ آل عمران ، وافتتحت به النساء بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ النساء ⁴.

. **المعنى** : ومن ذلك ما أورده في الفاتحة والبقرة. قال : " موافقة آخر السورة لأول ما بعدها ، كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة "⁵ ، وقد فصل ذلك في موضع آخر من الكتاب بقوله: "افتتاح سورة البقرة بقوله: ﴿ الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ فإنه إشارة إلى

¹ جلال الدين السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 65 .

² الإتقان ج 2 ، ص 986 .

³ ينظر الإتقان : ج 2 ، ص 986 .

⁴ ينظر السيوطي تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 76 .

⁵ جلال الدين السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 59.

الصرط في قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) ﴾ **الفاتحة: ٦** ، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب ، وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة ¹.

قال السيوطي : " ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة : فذكر الذين على هدى من ربهم ، وهم المنعم عليهم ، والذين اشتروا الضلالة بالهدى ، وهم الضالون ، والذين باعوا بغضب من الله ، وهم المغضوب عليهم ² ، وقد فصل السيوطي المناسبة بين الفاتحة والبقرة في " تناسق الدرر في تناسب السور " تفصيلا بديعا ، وسنشير إلى ذلك في الفصل الموالي في علاقة الإجمال والتفصيل .

ومن ذلك أيضا اتصال سورة قريش بالتى قبلها (الفيل) ، قال الله عز وجل في آخر (الفيل) : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5) ﴾ **الفيل** ، وفي فاتحة (قريش) : ﴿ لِإِيلَافٍ قُريشٍ (1) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) ﴾ **قريش** ³.

روى "البقاعي" في وجه المناسبة بينهما عن "أبي جعفر بن الزبير" قوله : " أنه سبحانه وتعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل ومنعهم من بيته وحرمة لانتظام شمل قريش ، وهم سكان الحرم ، وقطان بيت الله الحرام ويؤلفهم بهاتين الرحلتين ، فيقيموا بمكة و تأمن ساحتهم ⁴ ، فكان إهلاك الله عز وجل لأصحاب الفيل سببا في تحقيق أمن قريش وتجارتهما ، وزاد "البقاعي" قائلا : " ففعل الله تعالى بأصحاب الفيل ما فعله ليزداد العرب لهم هيبة وتعظيما فتزيد من إكرامهم لما رأت من إكرام الله تعالى لهم

¹ الإتقان : ج 2 ، ص 986 ، ينظر البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ج 1 ، ص 32 .

² جلال الدين السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 65 .

³ السيوطي : الإتقان ، ج 2 ، ص 986 .

⁴ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج 22، ص 263 .

فتكون في غاية التمكن في رحلتهم ¹. وهذه علاقة معنوية تبين مدى التماسك بين السورتين .

ب / علاقة المقابلة بين سورتين :

مما ذكره السيوطي في أوجه التناسب بين السور المقابلة بين سورة (الكوثر) وسورة (الماعون) ، حيث يقول : " ومن لطائف سورة الكوثر : أنها كالمقابلة للتي قبلها ، لأن السابقة وصف الله فيها المناققين بأربعة أمور : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة ، فذكر فيها في مقابل البخل : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) ﴾ **الكوثر** ، أي الخير الكثير ، وفي مقابل ترك الصلاة : ﴿ فَصَلِّ ﴾ أي دم عليها ، وفي مقابل الرياء : ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ أي لرضاه لا للناس ، وفي مقابل منع الماعون : ﴿ وَأَنْحَرْ ﴾ وأراد به التصديق بلحم الأضاحي ².

ج / المناسبة الصوتية بين آخر السورة و فاتحة التي تليها ³ : ومن ذلك ما ذكره في آخر سورة المسد : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5) ﴾ **المسد** ، و فاتحة الإخلاص : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) ﴾ **الإخلاص** ، حيث جاءت فواصل سورة الإخلاص موافقة لآخر فاصلة في سورة المسد .

د / المناسبة بين مطالع السور : وهي وجود علاقة بين مجموعة من السور ؛ قد تكون متتالية أو غير متتالية ، إلا أن هناك رابطاً بينها يتضح من خلال مطالعها ، ومن ذلك ما ذكره في السور التي تبدأ بالحروف المقطعة ؛ أنه بعد ذكر هذه الحروف يذكر القرآن أو ما يتعلق به ؛ حيث يقول : "واعلم : أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن ، كقوله : ﴿ الْم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا

¹ المرجع السابق ، ج 22 ، ص 264 .

² الإتقان : ج 2 ، ص 987 ، تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 145 .

³ ينظر : الإتقان : ج 2 ، ص 987 .

رَبِّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) ﴿البقرة﴾. ﴿الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾ آل عمران. ﴿المص (1) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنَذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2)﴾ الأعراف. ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (1)﴾ الحجر. ﴿طه (1) مَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)﴾ طه. ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1)﴾ النمل. ﴿يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2)﴾ يس. ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1)﴾ ص. ﴿حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2)﴾ الجاثية. ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1)﴾ ق¹. فهذه السور تشترك في كونها تذكر في مطالعها القرآن الكريم أو صفة من صفاته.

أورد السيوطي أمثلة أخرى عن المناسبة بين مطالع السور ومنها:

. المناسبة بين الحواميم: قال: " إنما سميت السور السبع ﴿حم﴾ على الاشتراك في الاسم ، لما بينها من التشاكل الذي اختصت به ، وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة من الكتاب مع تقارب المقادير في الطول والقصر"². فالسور التي تبدأ بـ ﴿حم﴾ يذكر الله عز وجل الكتاب ويصفه بإحدى صفاته :

قال تعالى : ﴿حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2)﴾ غافر.

قال تعالى : ﴿حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3)﴾ فصلت.

قال تعالى : ﴿حم (1) عسق (2) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3)﴾ الشورى.

¹ المصدر السابق ج 2 ، ص 990 .

² المصدر نفسه : ج 2 ، ص 993 .

قال تعالى : ﴿ حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) ﴾ الزخرف .

قال تعالى : ﴿ حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) ﴾ الدخان.

قال تعالى : ﴿ حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3) ﴾ الجاثية .

قال تعالى : ﴿ حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ (3) ﴾ الأحقاف.

. المناسبة بين سورة النساء وسورة الحج : قال : " ورد في القرآن سورتان : أولهما ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ في كل نصف سورة ، فالتى في النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ ، والتي في النصف الثاني على شرح المعاد ¹ ، وقصد بالتى شرحت المبدأ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ النساء 01 ، والتي شرحت المعاد قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) ﴾ الحج 01. فالمناسبة بين السورتين هي كونهما تشتركان في المطلع ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ ، وتبينان بداية خلق الإنسان ومعاده على الترتيب؛ فمطلع سورة النساء يُبين الله سبحانه وتعالى فيه بداية الخلق، ومطلع سورة الحج يُبين مصير الخلق .

¹ المصدر السابق : ج 2 ، ص 994 .

. المناسبة بين الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر: افتتح الله عز وجل سورة الفاتحة بقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، فوصف نفسه بأنه مالك جميع المخلوقات وفي الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك ، بل بفرد من أفراد صفاته ، ففي الأنعام وصف بأنه خلق السموات والظلمات والنور فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)﴾ الأنعام ، وفي الكهف ذكر صفة إنزال الكتاب قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1)﴾ الكهف، وملك ما في السموات وما في الأرض ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1)﴾ سبأ، وخلقهما في فاطر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)﴾ فاطر¹ . فالمناسبة بين السور الأربعة كانت بافتتاحها بالحمد، وذكر في الفاتحة صفة الملك، ثم في السور الأخرى فصل ذلك؛ فذكر خلق السموات والأرض وما فيهن والملائكة في الأنعام وسبأ وفاطر ، وإنزال الكتاب لهداية الخلق في الكهف، وكل هذه الأمور داخله في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

. المناسبة بين فاتحة الإسراء وفاتحة الكهف: نقل في "التناسق" أن المناسبة بينهما في "افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد ، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد ، نحو ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ " ² .

هذه جملة المناسبات التي ذكرها "السيوطي" في "الإتقان" ، ومن خلال هذا العرض يتبين لنا أن علم المناسبات يمثل أحسن تمثيل قضية التماسك النصي في علوم القرآن، مع العلم أن من هذه المناسبات ما هو شكلي وما هو دلالي ، وأن هذا

¹ ينظر الإتقان : ج 2 ، ص 993 .

² السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ص 99 .

التماسك يخضع في كثير من الأحيان إلى معرفة السياق، وخاصة ما يتعلق بالتماسك بين الآيات .

فالتماسك بين الألفاظ في إطار الآية الواحدة يخضع لسياق الآية من جهة ، ومن جهة أخرى يخضع إلى مقام استعمال تلك الألفاظ للدلالة على معانيها المرتبطة بذلك المقام ، أما التماسك بين الآيات المتتالية فيكون في سياق المقطع و سياق السورة ، كما يخضع أيضا إلى السياق الخارجي للنص والمتمثل في أسباب نزولها . أما التماسك بين السور فهو خاضع لسياق القرآن كله. وبهذا كان للسياق دور كبير في بيان التماسك النصي في القرآن الكريم كما بينه "السيوطي" في "الإتقان" .

الفصل الثالث : مظاهر تماسك النص القرآني في الإتقان

المبحث الأول : المستوى الصوتي

.تناسب الفواصل

.الجناس

.التعدد

المبحث الثاني : المستوى التركيبي

.العطف

.مرجع الضمير

.الحذف

المبحث الثالث : المستوى المعجمي

.التكرار

.التضام

المبحث الرابع : المستوى الدلالي

.السياق

.التغريض

.موضوع الخطاب

.علاقة الإجمال والتفصيل

بعد حديثنا في الفصل السابق عن علم المناسبات الذي يمثل قضية تماسك النص القرآني ، جاء الفصل الثالث للبحث عن أهم مظاهر التماسك النصي التي أشار إليها السيوطي في "الإتقان" ، وذلك وفق ما قدمته اللسانيات النصية من مبادئ متعلقة بالاتساق والانسجام؛ حيث يتعلق بالأول كل من الوسائل التي يتحقق بها الاتساق النصي في ظاهر النص على المستوى الصوتي، والمعجمي، التركيبي، أما الثاني فمتعلق بالمستوى الدلالي الذي يكشف عن المبادئ التي يتحقق بها الانسجام النصي .

المبحث الأول : المستوى الصوتي

يحاول هذا المبحث الكشف عن أهم مظاهر التماسك النصي على المستوى الصوتي في الإتقان :

أ (تناسب الفواصل: تعد الفواصل القرآنية من العناصر الأساسية التي تميز النص القرآني عن غيره من النصوص الأخرى، و تبرز تماسكه من الناحية الصوتية؛ و " الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"¹.

وضعها علماء القرآن في مقابل السجع، وعمدوا إلى تسميت ما في القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا، رغبة منهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم²، ومثل ذلك في تسميتها بالقوافي؛ قال السيوطي: "ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعا، لأن الله تعالى لمَّا سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لأنها منه "³.

¹ جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج 2، ص 940 .

² ينظر الإتقان ، ج 2، ص 945 .

³ السيوطي الإتقان ، ج 2 ، ص 942 .

لقد تنبه "السيوطي" إلى الدور الذي تؤديه الفواصل القرآنية في الربط بين الآيات، مما يجعل من النص القرآني وحدة متجانسة في سمع المتلقي، فالآيات القرآنية الكريمة " تنتهي بفواصل منسجمة موسيقيا بعضها مع بعض "1، مما يؤثر على المستمع ويخلف في سمعه نوعا من الانسجام الصوتي .

أدرك السيوطي هذا الدور الذي تؤديه الفواصل في تماسك أجزاء النص القرآني داخل السورة الواحدة وبين سورتين متتاليتين ، وقد مثل لذلك بعدة نماذج من القرآن الكريم منها :

- المناسبة الصوتية بين سورتي المسد والإخلاص: يرى أن الربط بينهما كان "للتوازن في اللفظ"2 ، حيث لاحظ وجود انسجام صوتي بين الفاصلة الأخيرة من سورة المسد ، وبين فواصل سورة الإخلاص.

قال تعالى : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5) ﴾ المسد، وقال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) ﴾ الإخلاص ، فهذه الفواصل جاءت متناسبة مع بعضها .

وقد ذكر في كتابه "تناسق الدرر في تناسب السور" ؛ أن سورة الإخلاص وضعت بعد سورة المسد لتوافق "الوزن في اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة تبت"3، فكان ذلك مما خلق تناسقا صوتيا بين السورتين . فالتناسب بين فواصل الإخلاص وآخر فاصلة في المسد جعلهما متماسكتين .

. وكذلك ما ذكره في المناسبة بين "سورة الفلق" وما قبلها ، قال : " وقُدِّمت الفلق على الناس . وإن كانت أقصر منها . لمناسبة مقطعها في الوزن لفواصل الإخلاص مع مقطع تَبَّت " 4 ، والمراد بذلك أن قوله تعالى في سورة الفلق: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5) ﴾ ، موافق في الوزن لفواصل الإخلاص ، كما أنه

1 فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني ، دار عمار ، عمان الأردن ، ط4 ، 2006 م ، ص 217 .

2 جلال الدين السيوطي : الإتقان ج2 ، ص 987 .

3 جلال الدين السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 146 .

4 المرجع نفسه ص 148 .

موافق أيضا للفاصلة الأخيرة في المسد ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5) ﴾ . فكان ذلك رابطا بين هذه السور .

إذا كانت للفواصل دور في الربط بين السورة والسورة التي تليها . على الوجه الذي ذكره السيوطي . فإنها في السورة الواحدة أكثر بيانا لذلك الترابط ، وحروف الفواصل القرآنية كما قال السيوطي: "إما متماثلة أو متقاربة" ¹ ، ونقل عن "فخر الدين الرازي" قوله: " فواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين" ² . فمن الأول قوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) ﴾ الطور . ومن الثاني قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) ﴾ الفاتحة . فإذا كانت حروف الفواصل متماثلة أو متقاربة ، فإنها تخلف في سمع المتلقي أثرا صوتيا يوحي له بتماسك وانسجام هذه الفواصل مع بعضها من بداية السورة حتى خاتمتها .

وقد تَرَدَّدَت السورة كاملة مبنية على الحرف الذي بدأت به مثل سورة القلم التي جاءت كل فواصلها مبنية على حرفين متقاربين وهما الميم والنون . مما خلق انسجاما صوتيا من بداية السورة حتى خاتمتها ، قال تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَبْيَكُمُ الْمَفْتُونُ (6) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (7) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ (11) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ (16) ﴾ القلم . قال الزركشي في البرهان: " فإن فواصلها كلها على هذا الوزن مع ما

¹ الإتقان في علوم القرآن : ج 2، ص 965 .

² ينظر الإتقان : ج 2، ص 965 .

تضمنت من الألفاظ النونية " ¹ ، وقال السيوطي : " فلو وُضع «ق» موضع «ن» لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله " ² . فالتقارب الصوتي في حروف الفاصلة يوحى للقارئ أو المستمع بالانسجام في السورة .

(ب) الجناس : تعد ظاهرة الجناس اللفظي من مظاهر الاتساق الصوتي ، وفائدته كما ذكر السيوطي: " الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها " ³، وذلك بسبب ما تخلفه من انسجام صوتي بين الكلمات في سمع المتلقي .

قسم السيوطي الجناس إلى أنواع منها :

. **التام :** وهو اتفاق اللفظتين في " أنواع الحروف وأعدادها و هيأتها " ⁴ ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ الروم 55 . وقوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (44) ﴾ النور .

. **الناقص :** " بأن يختلف في عدد الحروف ، سواء كان الحرف المزيد أولا أو وسطا أو آخرا " ⁵ ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَالتَّقَاتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30) ﴾ القيامة .

. **المصحف والمحرف :** فأما الأول فيسمى جناس الخط ، ويكون الاختلاف بين اللفظين في نقط الحروف ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) ﴾ الشعراء 80 . وأما الثاني فيقع الاختلاف في الحركات،

¹ الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 170 .

² الإتقان ج 2 ، ص 989 .

³ المصدر نفسه : ج 2 ، ص 920 .

⁴ المصدر نفسه : ج 2 ، ص 920 .

⁵ الإتقان ج 2 ، ص 921 .

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73)﴾ الصافات 1 .

. المضارع : " وهو أن يختلفا بحرف مقارب في المخرج ، سواء كان في الأول أو الوسط أو الآخر " 2 ، مثل قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ الأنعام 26 ، فالاختلاف كان في الهمزة والهاء. ونظير هذا النوع : الجنس اللاحق وهو "أن يختلفا بحرف غير مقارب " 3 ، كقوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (1)﴾ الهمزة . وقوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8)﴾ العاديات . وقوله : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (75)﴾ غافر .

. اللفظي: "بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والطاء " 4 كقوله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يُّوْمِنِدٍ نَّاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (23)﴾ القيامة.

ج (التعدد: ذكر السيوطي في "بدائع القرآن" شكلا آخر من أشكال التماسك الصوتي سماه "التعدد". يتعلق بتتابع مجموعة من الألفاظ لها نفس الإيقاع .

قال: " هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد " 5 ، أي أن الألفاظ تقع في الكلام متوالية ولها نفس الإيقاع الصوتي، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)﴾ التوبة ، وقوله : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (5)﴾ التحريم . فهذه الألفاظ لا تربط بينها أي أداة من أدوات الربط ، إلا أنها تبدو في ذهن السامع

1 ينظر الإتقان ، ج 2 ، ص 921 .

2 المصدر نفسه ج 2 ، ص 921 .

3 المصدر نفسه ج 2 ، ص 922 .

4 المصدر نفسه ج 2 ، ص 922 .

5 الإتقان ، ج 2 ، ص 918 .

متناسقة وشديدة التماسك فيما بينها ، وهذا راجع إلى الناحية الصوتية وتتابعها في الآية .

تساهم عناصر الاتساق الصوتي في جعل المتلقي يلتبس مواطن تماسك النص القرآني وترابط أجزائه؛ انطلاقاً من السياق الداخلي للنص، فإذا اختلف السياق الداخلي للنص القرآني والمتمثل في تتابع الألفاظ وتواليها وكذلك تتابع الآيات، فإن التوازن الصوتي للفواصل داخل النص يختل ، و بذلك يفقد النص انسجامه الصوتي على مستوى الفواصل، أو على مستوى الألفاظ، وعليه فالسياق الداخلي له دور بارز في التأثير على الاتساق النصي على المستوى الصوتي .

المبحث الثاني: المستوى المعجمي

يتحقق التماسك النصي على المستوى المعجمي من خلال العلاقات التي تربط بين الوحدات المعجمية، ويعتمد على أدوات الاتساق المعجمي، وهي التكرار والتضام.

لقد تحدث "السيوطي" في الإتقان عن ظاهرة التكرار، وقسمه إلى عدة أنواع، أما التضام فنجدته يتجلى في العلاقات الرابطة بين الوحدات المعجمية من خلال الطباق والمقابلة وترصيع الكلام .

أ (التكرار : يقصد به إعادة ذكر الكلمات ¹ ، وقد أشار الدكتور "سعد مصلوح" إلى أن التكرار في التراث العربي مرتبط بالتأكيد اللفظي ² ، ولذلك نجد "السيوطي" يتحدث عنه ضمن حديثه عن التأكيد ، حيث يقول : " التأكيد اللفظي هو تكرار اللفظ الأول " ³ . كما أشار إلى دوره في الربط بين الكلامين ، حيث يرى أن ذكر الاسم

¹ ينظر : عزة شبل ، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق ، ص 105 .

² ينظر : سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشعري ن ص 157 .

³ جلال الدين السيوطي ، الإتقان ، ج2 ، ص 846 .

مرتين إما يكون في كلام واحد ، أو في كلامين بينهما تواصل، ويكون أحدهما معطوفاً على الآخر ، وله به تعلق ظاهر وتناسب واضح وذلك من خلال تكرار ذلك الاسم في الكلام الثاني¹، فتكون ظاهرة التكرار من الأمور التي تبين التماسك النصي بين كلامين متتاليين ، وقد قسمه إلى أنواع :

1 / تكرار اللفظ: وهو إعادته بلفظه، " ويكون في الاسم والفعل والحرف والجملة"² :

* **تكرار الاسم :** نحو قوله تعالى " ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنِيَّةٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (15) قَوَارِيرَ مِنْ فَضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا (16) ﴾ الإنسان . فكان تكرار كلمة ﴿ قَوَارِيرَ ﴾ رابطاً بين الآيتين المتتاليتين .

* **تكرار الفعل :** نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا (17) ﴾ الطارق .

* **تكرار الحرف :** نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ هود 108. وقوله : ﴿ أَعْبُدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ (35) ﴾ المؤمنون .

* **تكرار الجملة :** نحو قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) ﴾ الشرح 05 ، وقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) ﴾ الانفطار . وقوله ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) ﴾ التكاثر .

وقد تحدث عن نوع آخر يدخل ضمن تكرار الجملة ، وسماه **الترديد** ، وهو تكرار نفس العبارة من بداية السورة حتى خاتمتها ، حيث " يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الأول "³ ، وجعل منه قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) ﴾ ، قال : " فإنها وإن تكررت نيفاً وثلاثين مرة فكل واحدة

¹ ينظر جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج1، ص 614.

² السيوطي : الإتقان ن ج2 ، ص 864 .

³ المصدر نفسه : ج2، ص 850 .

تتعلق بما قبلها " 1 ، أي أنها في كل مرة تُذكر فيها، تتعلق بالآية التي سبقتها ، فكلما ذكر الله عز وجل نعمة من نعمه على الخلق ، ذكر بعدها قوله: ﴿ فَبَإِيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، وقد أورد "السيوطي" هنا مسألة هي : أي نعمة في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) ﴾ الرحمن؟ ثم أجاب عنها بقوله : " النقل من دار الهموم إلى دار السرور ، وإراحة المؤمن و البار من الفاجر " 2 ، فكانت هذه نعمة من نعم الله على الخلق استوجبت التساؤل عن نكرانها من طرف العباد.

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة المرسلات : ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، فالله تعالى " ذكر قصصا مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، فكأنه قال عقب كل قصة : ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة " 3 .

أشار السيوطي إلى ظاهرة التكرار في موضع آخر من الإتقان ضمن حديثه عن الفواصل ، حيث ذكر نوعا من التكرار ؛ سماه " التصدير " وهو: "أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية وتسمى أيضا رد العجز إلى الصدر" 4 وهو ثلاث أقسام 5 :

*الأول : أن توافق الفاصلة آخر كلمة في الصدر ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166) ﴾ النساء .

*الثاني : أن توافق الفاصلة أول كلمة في الآية نحو : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) ﴾ آل عمران .

1 الإتقان : ج 2 ، ص 850 .

2 المصدر نفسه : ج 2 ، ص 850 .

3 المصدر نفسه : ج 2 ، ص 850 .

4 المصدر نفسه : ج 2 ، ص 960 .

5 ينظر : المصدر نفسه ج 2 ، ص 960 - 961 .

*الثالث : أن توافق الفاصلة بعض كلمات الآية ، نحو ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (10) الأنعام. وقوله: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (21) الإسراء . وقوله : ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ (61) طه . وقوله : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (10) نوح .

وفي سياق حديثه عن الفواصل ذكر تكرار الفاصلة بلفظها و سماه " الإيطاء "، مثل قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (93) وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (94) الإسراء. فتكرار عبارة ﴿بَشَرًا رَسُولًا﴾ جعلت الآية الثانية متعلقة بالأولى .

2/ التكرار بالمرادف: نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ الأنعام 125 . بفتح الحاء والراء ، قال ابن كثير " وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى " ¹ وقوله ﴿ وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴾ (27) فاطر ² .

ذكرت في الفصل السابق نوعا من التماسك النصي بين فاتحة السورة وخاتمتها في أربع سور هي : سورة القصص ، وسورة المؤمنون، وسورة ﴿ق﴾، وسورة القلم ، والملاحظ في هذه السور أن التناسب الذي ذكره "السيوطي" بين فواتحها وخواتمها قائم على ظاهرة التكرار .

¹ ابن كثير :تفسير ابن كثير ج 3 ، ص 336.

² ينظر الإتقان : ج 2 ن ص 846 .

- ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ برواية حفص عن عاصم ، و في رواية ورش عن نافع ﴿ حَرَجًا ﴾ بكسر الراء ، قال ابن كثير بمعنى آثم .تفسير ابن كثير : ج3، ص 336 .

- غرابيب سود : قال ابن كثير : قال عكرمة : الغرابيب الجبال الطوال السود ...وقال ابن جرير : والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا : أسود غريب " تفسير ابن كثير ، ج6 ، ص 544 .

قال: " وانظر إلى سورة القصص : كيف بدئت بأمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17) ﴾ القصص. وخروجه من وطنه ، وختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بألا يكون ظهيرا للكافرين ، وتسليته عن إخراجهم من مكة ووعدته بالعود إليها ، وقوله في أول السورة: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ ﴾ القصص 07" ¹.

ذكر الله عز وجل في سورة القصص ثلاثة أمور في فاتحة السورة وأعاد ذكرها في خاتمتها ، وقد أشار السيوطي إليها ضمن كلامه، ولكن لم يصرح بلفظ التكرار.

. ذكر لفظ ﴿ظَهِيرًا﴾ مقترنا بموسى، وأعاد ذكره مقترنا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (86) ﴾ القصص .

. خروج موسى من مصر: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ القصص 21. وإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة ووعدته بالعودة إليها . ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ القصص: ٨٥. وهذا في مقابل وعد أم موسى بإعادته إليها: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأُلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) ﴾ القصص. فالسيوطي بيّن وجه المناسبة بين الفاتحة والخاتمة ، انطلاقا من تكرار هذه الأمور التي ذكرناها (فلن أكون ظهيرا للمجرمين، فلا تكونن ظهيرا للكافرين ، خروج موسى وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ، إنا رادوه إليك ، لرادك إلى معاد) .

وكذلك أشار السيوطي إلى التكرار في سورة "المؤمنون"، حيث ذكر الله عز وجل الفلاح في بداية السورة وأعاد ذكره في خاتمتها قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ

¹ الإتقان : ج 2 ، ص 985 .

المُؤْمِنُونَ (1) ﴿المؤمنون، وقال: ﴿إِنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117)﴾﴾ المؤمنين. وكذلك في سورة ﴿ص﴾ كرر لفظ الذكر في الخاتمة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87)﴾ ﴿ص﴾، بعد إيرادها في الفاتحة ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ، ومثل ذلك في سورة القلم؛ كرر لفظ الجنون في الخاتمة: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51)﴾ القلم، بعد ذكره في الفاتحة ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)﴾ القلم¹. وقد دل هذا على أن تكرار هذه الألفاظ في خواتم تلك السور بعد ذكرها في فواتحها من أهم الوسائل التي اعتمد عليها السيوطي لبيان وجه المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها .

للتكرار فوائد ذكرها السيوطي منها :

. التأكيد .

. إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول ، أعيد ثانية لبيان أن هناك ارتباطا بينهما.

. التعظيم والتهويل، مثل قوله: ﴿الْحَاقَّةُ (1) مَا الْخَاقَّةُ (2)﴾ ، وقوله: ﴿الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2)﴾ ، ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27)﴾ الواقعة² .

. زيادة التنبيه لمتلقي الكلام ليقابله بالقبول ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39)﴾ غافر. فإنه كرر النداء للتنبيه³.

ب (التضمين) : " هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما "⁴ ، حيث يرى "محمد خطابي" أن هذا الارتباط تحكمه عدة علاقات أهمها علاقة

¹ ينظر: الإتقان ، ج2، ص 985 .

² ينظر : المصدر نفسه : ج2، ص 849 .

³ ينظر : المصدر نفسه ، ج2، ص 849 .

⁴ محمد خطابي :لسانيات النص 25 .

التعارض¹، وفي هذا السياق نجد السيوطي يتحدث عن العلاقات التي تحكم تعلق الألفاظ بعضها ببعض ومنها :

1/المطابقة : "وتسمى الطباق وهي الجمع بين متضادين في الجملة"² ، وهو نوعان : طباق الإيجاب ، وطباق السلب .

***طباق الإيجاب :** مثل قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) ﴾ النجم. وقوله: ﴿ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ الحديد 23. قوله : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ الكهف 18 .

***طباق السلب :** مثل قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) ﴾ المائدة . وقوله : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ المائدة 44 .

جاءت هذه الألفاظ مترابطة بحكم العلاقة التي تربط بينها وهي التضاد .

2/ ترصيع الكلام : " وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك " ³ ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (119) ﴾ طه. قال السيوطي معقبا على هذه الآية : " أتى بالجوع مع العري وبابه أن يكون مع الظمأ ، وبالضحى مع الظمأ ، وبابه أن يكون مع العري ، لكن الجوع والعري اشتراكا في الخلو؛ فالجوع خلو الباطن من الطعام ، والعري خلو الظاهر من اللباس ، والظمأ والضحى اشتراكا في الاحتراق، فالظمأ احتراق الباطن من العطش، والضحى*

¹ ينظر محمد خطابي : ص 25 .

² الإتقان ج2، ص933 .

³ المصدر نفسه: ج2 ، ص 934 .

احتراق الظاهر من حر الشمس " ¹ ، فالسيوطي فسر تضام هذه المفردات انطلاقاً من وجود صفة مشتركة بين الجوع والعري ، وبين الظمأ والضحي .

3/ المقابلة : وهي أن يذكر لفظان فأكثر ، ثم أضدادهما على الترتيب " ² ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (82) التوبة. جاءت هذه الألفاظ متضامة بحكم تقابلها في الآية ، وقوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾ (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) سورة الليل . قامت علاقة المقابلة بالربط بين هذه الآيات .

المبحث الثالث : المستوى التركيبي

تتجلى مظاهر التماسك النصي على المستوى التركيبي في الإتقان من خلال العطف و مرجع الضمير والحذف .

أ) العطف : أشار السيوطي إلى العطف ودوره في التماسك النصي ، في حديثه عن "حسن النسق" ، حيث قال " حسن النسق أن يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسن ، بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظه " ³ ، ويمثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (44) سورة هود .

هذه الآية تحوي مجموعة من الجمل المعطوفة بأداة الربط الواو ، فجاءت الجمل ، حيث كان "الابتداء بالأهم الذي هو انحسار الماء في الأرض، المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة من الإطلاق من سجنها، ثم انقطاع مادة السماء

¹ المصدر السابق : ج2 ، ص934 .

*ضحى : ضَحُوا وضَحُوا : أصابه حر الشمس ، المعجم الوسيط ص 535 .

² المصدر السابق : ج2 ، ص934 .

³ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 925 .

المتوقف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج، ومنه اختلاف ما كان بالأرض، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذي هو متأخر عنه قطعاً، ثم بقضاء الأمر الذي هو هلاك من قُدِّرَ هلاكه، ونجاة من سبق نجاته، وآخر عما قبله لأن علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها، وخروجهم موقوف على ما تقدم، ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الأمن من الاضطراب، ثم ختم بالدعاء على الظالمين، لإفادة أن الغرق وإن عم الأرض فلم يشمل إلا من استحق العذاب لظلمه¹ .

إن غاية أهل السفينة هي نزولهم منها ، ولا يكون ذلك إلا إذا غيض الماء ، والماء لا يغيض إلا إذا أقلعت السماء وبلعت الأرض ماءها وبذلك تتحقق تلك الغاية .

ب) مرجع الضمير : تقوم الإحالة بدور أساسي في الربط بين أجزاء النص وعناصره وخصوصاً الإحالة بالضمائر، وقد تنبه السيوطي إلى هذا الدور الذي تقوم به الضمائر في التماسك النصي ، فخصّ الضمائر في الإتقان بحديث مفصل ؛ بين فيه الدور الذي يقوم به السياق في بيان مرجع الضمير وحدد أقسامه .

الضمائر من أهم الأدوات التي تقوم عليها الإحالة والتي تساهم في تحقيق التماسك النصي ، و الإحالة كما أشرنا سابقاً تنقسم إلى قسمين²:

. إحالة نصية : تحيل إلى عنصر سابق أو لاحق داخل النص .

. إحالة مقامية : تحيل إلى عنصر خارج النص .

¹ السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج2، ص925.

² ينظر : خليل بن ياسر البطاشي : الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 165 .

وقد أكد اللغويون على الدور الذي يقوم به السياق في معرفة مرجعية الضمير، خاصة إذا كانت غامضة أو أنها تعود على أمر خارج النص، فالمرجعية الخارجية تعتمد على السياق المقامي لأنه في الغالب بدون السياق يقف المتلقي عاجزاً على تفسير ما يقال¹، ولذلك فإن المفسرين يعتمدون كثيراً على أسباب النزول لمعرفة ما تدل عليه الآيات، وكذلك لمعرفة مرجع الضمير، فأسباب النزول " من بين الأمور الواجب إدراكها لدى المتلقي للنص، فلولا إدراكه لهذه المناسبات لما استطاع معرفة مرجعية الضمير، ومن ثم يغيب كثير من معالم الدلالة، وقد ينقص من تماسكها نظراً لعدم وضوح مرجعية الضمير " ².

لقد تنبه السيوطي إلى الدور الذي يقوم به الضمير في معرفة الدلالة، ولذلك نجده في سياق حديثه عن " القواعد التي يحتاجها المفسر " يجعل أول قاعدة منها: قاعدة الضمائر، وذلك لأهميتها ودورها في بيان الدلالة .

يرى السيوطي أن الضمير " لابد له من مرجع يرجع إليه " ³ ، وجعل المرجعية نوعان :

أ/مرجعية داخل النص : تدرك من خلال السياق الداخلي للنص ، وهي إما قبلية، أو بعدية :

***القبلية :** قال السيوطي عن مرجع الضمير : " ويكون ملفوظاً سابقاً " ⁴ ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ هود 42 . وقوله : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ ﴾ طه 121 . فالضمير في الآية الأولى عائد على مذكور في النص سابقاً (إحالة قبلية) وهو (نوح)، وفي الثانية عائد على (آدم) المذكور قبل الضمير .

¹ ينظر صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص 165

² المرجع نفسه : ص 196 .

³ الإتقان ج 1 ، ص 597 .

⁴ المصدر نفسه ، ج 1، ص 597 .

*بعدية : قال: " أو متأخر لفظاً " ¹ ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (67) طه . وقوله ﴿ فَيَوْمِنَا لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ (39) الرحمن . فكل ضمير من هذه الضمائر أحال إحالة بعدية إلى ملفوظات ذكرت بعدها في النص، وهي : موسى في الآية الأولى ، وفي الثانية الإنس والجن .

ب / مرجعية خارجية : تكون الإحالة إلى أمر خارجي، غير مذكور في النص ، وفي هذه الحالة تكون معرفة السياق المقامي من قبل المتلقي ضرورية لاكتشاف مرجع الضمير، قال السيوطي: " وقد يدل عليه السياق فيضمّر، ثقة بفهم السامع " ²، فالمتلقي من خلال معرفته بالسياق يعرف مرجع الضمير .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (26) الرحمن . وقوله ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ فاطر 45 . أي الأرض أو الدنيا ³ ، فاللفظين غير مذكورين في النص، وإنما أحال إليهما الضمير (الهاء) إحالة خارجية أدركها السيوطي من خلال السياق المقامي للآية .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا بَوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ﴾ النساء 11 ، فالضمي رفي قوله: ﴿ وَلَا بَوَيْهَ ﴾ عائد إلى مرجع خارج النص وقد عرفه السيوطي من سياق الآية؛ قال : " وهو الميت ولم يتقدم ذكره " ⁴.

أورد السيوطي في معرفة مرجع الضمير قواعد منها :

• الأصل رجوع الضمير إلى أقرب مذكور في النص ⁵ ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾

¹ الإتقان ج1، 598 .

² المصدر نفسه ج1 ، ص 598 .

³ ينظر : المصدر نفسه ج1 ، ص 598 .

⁴ المصدر نفسه ، ج1 ، ص 598 .

⁵ ينظر : المصدر السابق : ج1 ، ص 600 .

﴿ الأنعام 112 . فالضمير (هم) أحال إحالة قبلية إلى (الجن) ، لأنه الأقرب إلى الضمير .

. " الأصل توافق الضمائر في المرجع حذرا من التشتت " ¹ ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقْذِفَ فِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفْ فِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾ طه 39 . يرى السيوطي . كما نقله عن الزمخشري . أن الضمائر كلها راجعة إلى موسى ، ورجوع بعضها إليه ، وبعضها إلى التابوت تؤدي إلى تنافر في النظم ² . وبهذا كان اتحاد المرجع الذي أحال إليه ضمير الهاء وجه من وجوه تماسك هذه الآية .

(ج) الحذف : وسيلة من وسائل الاتساق النصي ، وهو " استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمعناها المفهومي أن يقوم في الذهن " ³ ، وقد صرح السيوطي أن الحذف لا يكون إلا بوجود دليل على المحذوف ⁴ ، وقسمه إلى قسمين :

. دليل حالي : يستند فيه المتلقي إلى حال كل من المخاطب والمخاطب ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا ﴾ هود 69 . " أي سلمنا سلاما " ⁵ ، فمقام التخاطب بين إبراهيم والملائكة دل على المحذوف من الكلام ، وهو قولهم (سلمنا) .

. دليل مقالي : نحو قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ النحل 30 . أي أنزل خيرا ⁶ ، فالسيوطي قدّر الفعل المحذوف من الجواب ، وهو (أنزل) ، وذلك استنادا إلى ذكره في السؤال وذلك بغرض الإيجاز وعدم التكرار .

¹ الإتقان في علوم القرآن : ج 1 ، ص 600 .

² ينظر المصدر نفسه : ج 1 ، ص 600 .

³ روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب و الإجراء ، ص 301 .

⁴ ينظر : الإتقان ، ج 2 ، ص 822 .

⁵ المصدر نفسه ج 2 ، ص 822 .

⁶ ينظر : المصدر السابق ج 2 ، ص 822 .

قال السيوطي : "وتارة يدل عليه التصريح به في موضع آخر" ¹ ، ووصفه بأنه أقوى الأدلة على المحذوف ، ومن خلال التصريح بالمحذوف في موضع آخر من القرآن يتضح لنا مدى تماسك النص القرآني وتلاحم أجزائه ببعضها ببعض ، حيث يقدر المحذوف انطلاقاً من ذكره في آية أخرى ، وهذا داخل في قاعدة تفسير القرآن بالقرآن التي تعتمد على سياق القرآن الكريم كله .

قدم السيوطي أمثلة من القرآن الكريم يوضح من خلاله تقدير المحذوف انطلاقاً من التصريح به في آية أخرى من القرآن ، ومنها : قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة 210 . قال : "أي أمره بدليل ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ النحل 33 . ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (133) آل عمران . أي (كعرض) بدليل التصريح به في آية الحديد ² ، وهي قوله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الحديد 22 .

أنواع الحذف :

قسم السيوطي الحذف إلى عدة أنواع ومنها :

*الإكتفاء : " وهو أن يقتضي المقام شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر" ³ ، وقد قدم السيوطي لهذا النوع أمثلة عديدة ، وأغلبها يكون تقدير المحذوف فيها متعلقاً بالسياق المقامي للآية ومنها :

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ النحل 81 . قال "السيوطي" في تقدير المحذوف من العبارة : "أي والبرد، وخصص الحر بالذكر لأن الخطاب للعرب

¹ الإتقان : ج2، ص824 .
² المصدر نفسه ج2، ص824 .
³ المصدر السابق : ج2، ص829 .

وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم، لأنه أشد عندهم من البرد"¹، فكان عيش العرب وظروفهم، جعلت السيوطي يقدر المحذوف انطلاقاً من علمه بتلك الأحوال والظروف التي تمثل السياق الاجتماعي للنص .

. قال تعالى : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (26) آل عمران 26 . علق عليها السيوطي بقوله: " أي والشر ، وإنما خص الخير بالذكر لأنه مطلوب العباد ومرغبه، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم، أو لأن إضافة الشر إلى الله ليس من باب الأدب"².

. قال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (13) الأنعام 13. يقول السيوطي: " أي وما تحرك ، وخص السكون بالذكر لأنه أغلب الحاليين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن كل متحرك يصير إلى السكون " ³.

الإحتباك: نقل "السيوطي" عن "الزركشي" قوله: " هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه "⁴، وقال في الإتقان: " أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول "⁵ ، وهنا دلالة على تلاحم الكلامين وارتباطهما، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا ﴾ النمل 12 . والتقدير: تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء ، فحذف من الأول (غير بيضاء) ، ومن الثاني (وأخرجها) ⁶.

¹ الإتقان : ج 2، ص 830.

² المصدر نفسه : ج 2، ص 830 .

³ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 830 .

⁴ ينظر المصدر نفسه : ج 2، ص 832 .

⁵ المصدر السابق ج 2 ، ص 831 .

⁶ ينظر: المصدر نفسه ج 2، ص 831 .

يعلق السيوطي على هذا النوع من الحذف بقوله : " ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه : الشد ، و الإحكام ، وتحسين أثر الصنعة في الثوب ، فحك الثوب : سدَّ ما بين خيوطه من الفُرج وشده وإحكامه ؛ بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق " ¹ .

وقد عقد السيوطي مشابهة بين حبك الثوب وحبك الكلام ، ووجه الشبه بينهما أن " مواضع الحذف من الكلام شبعت بالفرج بين الخيوط " ² ، ومتلقي الكلام يملأ هذه الفُرج لإتمام معنى النص ، وبذلك يكون تماسكه وارتباطه .

الاختزال : نوع من أنواع الحذف التي ذكرها "السيوطي" ، لكن لم يعطي له تعريفا وإنما قسمه إلى أقسام بحسب المحذوف :

حذف الاسم : مثل قوله تعالى : ﴿ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ النور 31 . والتقدير : أيها القوم المؤمنون . وقوله : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ ﴾ الصافات 48 . والتقدير : حور قاصرات الطرف . وقوله : ﴿ أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾ سبأ 11 . أي دروعا سابغات ³ .

حذف الفعل : قال السيوطي " يكثر في جواب الاستفهام نحو قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ النحل 30 . أي أنزل " ⁴ .

حذف كلمتين : مثل قوله تعالى : ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ طه 96 . والتقدير : "من أثر حافر فرس الرسول " ⁵ .

¹ الإتقان ج 2 ، ص 832.

² المصدر نفسه ج 2 ، ص 832 - 833 .

³ ينظر المصدر نفسه ج 2 ، ص 833 .

⁴ المصدر السابق ج 2 ، ص 832 ،

⁵ المصدر نفسه ج 2 ، ص 839 .

حذف جملة : كحذف جملة القسم أو جملة جوابه ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ النمل 21 . والتقدير : والله لأعذبه . ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) ﴾ والتقدير : إنه لمعجز ¹ .

حذف جمل متعددة : نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾ يوسف 46 وتقديره : " فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ففعلوا فأتاه فقال يا يوسف " ² . فالآيتان تظهران وكأنهما منفصلتان عن بعضهما ولا علاقة بينهما ، ولكن تقدير الجمل المحذوفة يوضح أن الآية الثانية مرتبطة بالأولى .

المبحث الرابع : المستوى الدلالي

إن البحث في التماسك النصي لا يقتصر على الوسائل الشكلية المتعلقة بالمستوى الصوتي والمعجمي والتركيبية ، وإنما يتعدى هذه المستويات إلى البحث عن الوسائل التي يتحقق بها الانسجام النصي على المستوى الدلالي .

¹ ينظر الإتيان ج2 ، ص 841 .

² المصدر نفسه ج2، ص 841.

لقد استعمل السيوطي لفظ الانسجام في عدة مواضع من الإتقان ، وأشار في تعريفه له إلى قضية ترابط الكلام وتماسكه ؛ يقول : " الانسجام هو أن يكون الكلام . لخلوه من العقادة . منحدرًا كتحدّر الماء المنسجم ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة ، والقرآن كله كذلك " ¹.

شبه السيوطي الكلام المنسجم بالماء المتحدّر؛ فالماء المتحدّر يرتبط بعضه ببعض دون انقطاع، والكلام الذي يتصف بالانسجام و سهولة التراكيب وعذوبة الألفاظ والخالي من التعقيد، يجعل القارئ " يتحرك بسهولة من جملة إلى أخرى، ويقرأ النص كوحدة واحدة وليس مجموعة من الجمل المنفصلة... ومعها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة " ² مثل الماء المنسجم الذي يتصف باستمرارية التدفق وعدم الانقطاع .

يهتم الانسجام النصي بالناحية الدلالية في النص، ويبحث في العلاقات التي تحقق الترابط الدلالي بين أجزاءه، حيث ترتبط المعلومات بعضها ببعض فتكون وحدة موضوعية، يستطيع القارئ من خلاله اكتشاف الفكرة الرئيسية أو الموضوع العام للنص، مما يمكنه من إدراك تماسكه الدلالي ³ ، ويمكن تحديد الوسائل التي يبنى عليها الانسجام النصي في القرآن الكريم من خلال كتاب الإتقان في ما يلي:

أ / **السياق** : يلعب السياق دوراً أساسياً في فهم النصوص وإدراك معانيها، كما يساهم في ربط أجزاء النص بعضها ببعض، ويعين المتلقي في تأويل النص .

يرى السيوطي أن المفسر ينبغي له أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه النص، والمتعلق بزمان ومكان نزول القرآن الكريم، ويتجلى ذلك في معرفة أسباب النزول ومعرفة المكي والمدني، لأن ذلك يؤدي دوراً فعالاً في تفسير النص القرآني

¹ السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ج2، ص 909 .

² عزة شبل: علم لغة النص النظرية والتطبيق : ص 184.

³ ينظر المرجع نفسه ، ص 186 .-

ومعرفة معانيه، فقد نقل عن "ابن دقيق العيد" أن " بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن " ¹ ، كما نقل عن ابن تيمية قوله: " معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب " ² . و جعل من شروط المفسر معرفته لأسباب النزول ³ .

وكما أن للسياق دورا في فهم معاني النص، فإنه أيضا يحصر عدد التأويلات الممكنة و يوجه المتلقي إلى التأويل المقصود ⁴ ، وقد أدرك السيوطي الدور الذي تؤديها أسباب النزول في توجيه فهم المتلقي للمعنى الصحيح ، و نقل عدة وقائع دالة على ذلك منها :

. أن مروان بن الحكم لما سمع قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَقَارََةِ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188) ﴾ آل عمران 188 ، أُشْكَلَ عليه ذلك وقال : " لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يُحمدَ بما لم يفعل معذبًا، لنُعَذِّبَنَّ أجمعون، حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي . صلى الله عليه وسلم . عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، و رأوا أنهم أخبروه بما سألهم عنه و استحمدوا بذلك إليه " ⁵ . وزاد في أسباب النزول " وفرحوا بما أوتوا من كتمان ما سألهم عنه " ⁶ .

يتبين لنا من هذه الواقعة أن عبد الملك ابن مروان اتجه فهمه للآية إلى معنى معين، ولكن سبب النزول وجه فهم ابن عباس إلى المعنى الصحيح لها .

¹ ينظر الإتقان في علوم القرآن ج1، ص 93 ،

² ينظر المصدر نفسه ، ج1، ص 93 .

³ ينظر المصدر نفسه ج2، ص 1222 .

⁴ ينظر محمد خطابي لسانيات النص ، ص 52 .

⁵ ينظر السيوطي : الإتقان في علوم القرآن : ج1، ص 93 .

⁶ ينظر : لباب النقول في أسباب النزول ، ص 68 .

. روي السيوطي أن "عثمان بن مظعون" و"عمر بن معدي كرب" ، كانا يقولان: الخمر مباحة ، ويحتجان بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ المائدة 93 . وقد بين السيوطي أنهما لو علما سبب نزولها لم يقولا ذلك، وسبب نزولها كما رواه: أن ناسا قالوا لما حرمت الخمر: كيف بمن قُتل في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ فنزلت هذه الآية جوابا لسؤالهم¹.

بين السيوطي أن عثمان بن مظعون وصاحبه فهما من الآية إباحة شرب الخمر، ولكن سبب نزولها بين عكس ذلك .

. قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة 115. قال السيوطي: "فإننا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلّي لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا، وهو خلاف الإجماع، فلما عُرف سبب نزولها علّم أنها في نافلة السفر، أو فيمن صلى بالاجتهاد وبأن له الخطأ"².

قال السيوطي في أسباب النزول: "أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته تطوعا أينما توجهت به، وهو جاء من مكة إلى المدينة .. ثم قرأ ابن عمر: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ وقال في هذه نزلت هذه الآية. وأخرج الحاكم عنه قال : أنزلت ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع"³.

¹ ينظر الإتقان : ج1، ص 93 .

² الإتقان ، ج1، ص 94 .

³ السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول ، ص 22 .

. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (158) البقرة 158. عَقَّبَ السيوطي عليها قائلا: " فَإِنْ ظَاهِر لَفْظِهَا لَا يَقْتَضِي أَنْ السَّعْيَ فَرَضَ ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى عَدَمِ فَرَضِيَّتِهَا تَمَسُّكَ بِذَلِكَ ، وَقَدْ رَدَّتْ عَائِشَةُ عَلَى عُرْوَةَ فِي فَهْمِهِ ذَلِكَ بِسَبَبِ نَزُولِهَا ، وَهُوَ أَنَّ الصَّحَابَةَ تَأَثَّمُوا مِنَ السَّعْيِ بَيْنَهُمَا لِأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَنَزَلَتْ " 1 .

روى السيوطي في سبب نزولها: " أخرج الشيخان عن عروة عن عائشة قال: قلت : أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ فَمَا عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: بئس ما قلت يا بن أختي، إنها لو كانت علي ما أولتها عليه، كانت فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، وكان من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفاء والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقالوا : >> يا رسول الله إنا كنا نتخرج أن نطوف بالصفاء والمروة في الجاهلية >> فأنزل الله ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ " 2 ؛ أي أنهم لما سألوا الرسول . صلى الله عليه وسلم . عن ذلك أنزل الله الآية، فكان العلم بسبب النزول معينا على توجيه الآية إلى المعنى الصحيح غير الذي فهمه عروة .

دلت هذه الوقائع التي ذكرها السيوطي أن تلك الآيات أشكلت معانيها على مُتَلَقِّيْهَا، ورأوا أنها تحمل معاني معينة بحسب فهمهم لها، ولكن أسباب نزولها وجهت الفهم إلى المعنى الصحيح الذي نزلت فيه، وقد دل هذا على أن السيوطي مُدْرِك

¹ السيوطي: الإتيان ، ج 1 ، ص 94.

² السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ، ص 28 .

للدور الذي قام به السياق في توجيه وبيان المعنى المراد من النص ، وأنه حصر التأويلات المتعددة في التأويل المقصود .

ب . التغريض : هو كما بيّن محمد خطابي "نقطة بداية قول ما"¹. ونقطة بداية أي نص تكمن في عنوانه أو الجملة الأولى، حيث يثير العنوان لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يتضمنه ذلك النص² . وفي هذا السياق نجد السيوطي يولي اهتماما كبيرا بفاتحة السورة وذلك في حديثه عن فواتح السور، أو كما سماه براءة الاستهلال وحسن المطلع .

يرى السيوطي أن بداية الكلام أول ما يقرع سمع المتلقي، ولذلك وجب أن يكون في غاية الحسن والكمال؛ لكي يُقبل عليه السامع لتلقيه بالقبول ووعيه، وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي حسنا ، كما يرى أن جميع فواتح السور جاءت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها³ .

تتمثل براءة الاستهلال في اشتمال " أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله"⁴، ففاتحة كل سورة مناسبة لموضوعها وغرضها الأساسي، وقد ركز اهتمامه على سورة الفاتحة لكونها مطلع القرآن وفاتحته. " ولذلك قيل : إنها جديرة بأن تسمى : عنوان القرآن ، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله "⁵ ، وقال في التناسق : " افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة ، لأنها جمعت مقاصد القرآن ، ولذلك كان من أسمائها أم القرآن ، وأم الكتاب ، والأساس ، فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال "⁶.

¹ محمد خطابي لسانيات النص ، ص 59 .

² الطيب العزالي قواوة ، الانسجام النصي وأدواته ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد الثامن 2012، ص 70 .

³ ينظر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج2، ص 969 .

⁴ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 970 .

⁵ المصدر نفسه : ج 2 ، ص 971 .

⁶ السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 61 .

ذكر السيوطي أن سورة الفاتحة تمثل مطلع القرآن ، ولذلك جاءت مشتملة على جميع مقاصده فسميت بأم القرآن ، ومدار هذه المقاصد كما أشار إليها ثلاثة أمور: توحيد، وتذكير، وأحكام : "فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتذكير منه الوعد والوعيد، والجنة والنار ... والأحكام منها التكاليف كلها، وتبيين المنافع والمضار، والأمر والنهي والندب"¹، والقرآن كله كما يرى يشتمل على هذه الأمور².

ونقل في "تناسق الدرر" عن (عبد الله بن محمد الطيبي ت 743هـ) قوله: " وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة، فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً ، فإنها واقعة في مطلع التنزيل " ³، وسيتبين لنا ذلك في علاقة الإجمال والتفصيل .

تمثل سورة الفاتحة مطلع القرآن وتشير إلى جميع مواضيعه الجزئية ، وهذه دلالة على أن هذه المواضيع منسجمة مع بعضها بعض وتصبُّ في قالب الموضوع العام للقرآن الكريم ، و هو أفراد الله بالعبادة والتوحيد ، و الإقرار له بالربوبية و الالتجاء إليه ⁴ .

إذا كانت فاتحة الكتاب تمثل مطلع القرآن وتشير إلى مواضيعه، وتحوي كل مقاصده، فإن فاتحة السورة وحسن مطلعها يساعد المتلقي على معرفة موضوعها العام وغرضها ، ويقدم له مؤشرات للتعرف على هذا الغرض، وبذلك يسهل عليه اكتشاف العلاقات الرابطة بين آياتها . ومن ذلك ما ذكره السيوطي في فاتحة النساء .

¹ الإتقان ، ج2، ص 1034.

² ينظر المصدر نفسه ، ج2، ص 1034 .

³ ينظر تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 62 .

⁴ ينظر الإتقان ، ج2 ، 987 .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾، ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء 01 . ففاتحة النساء كما يرى السيوطي دلت على موضوعها العام، وما يتعلق به من موضوعات جزئية ، حيث تضمنت ما جاءت أكثر السورة في بيان أحكامه: "من نكاح النساء ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، وأنَّ ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم، ثم خلق زوجه منه، ثم بَثَّ منهما رجالا ونساء في غاية الكثرة"¹، فجاءت فاتحة النساء شاملة لجميع موضوعاتها الجزئية .

ج . موضوع الخطاب: يرتبط موضوع الخطاب بالمحور الذي يدور حوله النص²، والقرآن كما يرى المفسرون يتمحور حول موضوع رئيسي هو : التوحيد والعبادة، وموضوعات فرعية تخدم كلها الموضوع الرئيسي³ ، وقد أشار السيوطي إلى دور عناصر السياق في بيان وحدة الموضوع القرآني للسور المكية والمدنية .

ذكرت في الفصل الأول أن السيوطي أورد معايير التمييز بين المكي والمدني، فجعل منها ما يتعلق بموضوع الخطاب؛ فالمكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة⁴ ، فالخطاب الأول مبني على الإنذار الذي يرتبط بمصارعة المفاهيم القديمة على مستوى الفكر، والدعوة إلى المفاهيم الجديدة، أما الخطاب الثاني ف قائم على بناء مجتمع جديد⁵، ولذلك كان موضوع السور المكية يختلف عن موضوع السور المدنية ، فالأول يخدم قضية العقيدة وتنقيتها من الشرك، أما موضوع السور المدنية فيتجه إلى بناء مجتمع جديد ولذلك كان موضوعه متمحورا حول التشريعات، وتطبيق الحدود للمحافظة على بقائه وحمايته من

¹ المصدر السابق ص 988 .

² ينظر خليل بن ياسر البطاشي ، ص 225 .

³ ينظر الطيب العزالي قواوة : الانسجام النصي وأدواته ، مجلة المخبر ، جامعة بسكرة ، ص 72

⁴ ينظر الإتقان ج1، ص 27.

⁵ ينظر نصر حامد أبو زيد مفهوم النص ، ص 77 ،

الانحراف¹ . وبهذا كان الخطاب المكي متعلقا بالعقيدة والمدني متعلقا بالأحكام والشرائع .

أورد السيوطي أمورا أخرى يتحدد منها موضوع كل من الخطاب المكي والمدني وذلك أن " كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية"² . وهذا يبين وحدة الخطاب المكي، فقصاص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة تعالج قضية التوحيد بين الأنبياء وأقوامهم، أما المدني فيهتم بالفرائض والحدود، لأن المجتمع الإسلامي في الفترة المدنية مجتمع موحّد . ومما يميز هذه الفترة ظهور طائفة جديدة في المجتمع هي فئة المنافقين، فجاء الخطاب المدني متميزا عن المكي بذكرهم، "فكل سورة فيها ذكر للمنافقين فمدنية"³.

يتبين لنا من خلال هذا العرض أن موضوعات الخطاب القرآني المكي منسجمة مع بعضها بعض، وتصب كلها في قضية التوحيد والعقيدة ، وكذلك موضوعات الخطاب المدني التي تهتم بالشرائع والأحكام وبهذا يكون انسجام موضوع الخطاب القرآني متعلق بالسياق الخارجي والمتمثل في معرفة المكي والمدني .

د . علاقة الإجمال والتفصيل : تعد علاقة الإجمال و التفصيل من أهم العلاقات الدلالية المحققة للانسجام النصي، وقد أفرد لها السيوطي مبحثا في الإتيان، كما بين أثرها في تماسك النص القرآني وانسجامه .

يقول السيوطي: "المجمل ما لم تتضح دلالاته"⁴ ، أو " اللفظ المبهم الذي لا يفهم المراد منه "⁵، وقد اقترن لفظ المجمل بلفظ المفصل "المُبَيَّن" ، لأن هذه الآيات التي تتصف بعدم وضوح الدلالة، قد بُيِّنَت دلالاتها في آيات أخرى في مواضع أخرى

¹ ينظر: نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، ص15.

² السيوطي ، الإتيان ، ج1، ص 53.

³ ينظر المصدر نفسه، ج1، ص 54 .

⁴ الإتيان ، ج2، ص 693.

⁵ المصدر نفسه: ج2، ص 699.

من القرآن الكريم، وهذا يقتضي وجود علاقة تربط بين هذه الآيات؛ هي علاقة التفصيل بعد الإجمال، وهذه العلاقة مستتبطة من النظر في سياق القرآن كله، وقد ذكر السيوطي العديد من الآيات التي تربط بينها هذه العلاقة ومنها:

. قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ المائدة 1 ، فسرهُ قوله¹:
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْحَنِقَةُ وَ الْمُؤَفَّوَةُ
وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالتَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ سورة المائدة 03 .
فالآية الثانية جاءت تفصيلا لما أجمل في الأولى .

. قوله تعالى : ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ (4) ﴾ الفاتحة. فسرهُ قوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ
(17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)
﴿ الانفطار 2.

. وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
(17) ﴾ الزخرف ، فسرهُ قوله في آية النحل : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ
مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (58) 3 .

. وقوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ
وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) ﴾ البقرة . بيان هذا العهد قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي
وَعَزَّزْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ المائدة 12 ، فهذا عهده ، وعهدهم :
﴿ لَا كُفْرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دُخْلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12) ﴾ المائدة 4 .

¹ ينظر المصدر نفسه ، ج2، ص 695 .

² المصدر نفسه ج2، ص 695 .

³ ينظر الإتقان : ج2، ص 696 .

⁴ ينظر المصدر نفسه : ج2، ص 696 .

. قوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الفاتحة 07 . بينه قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَكُتِيًّا ﴾ (58) ﴿ مريم ¹ .

هذه بعض الآيات التي ذكرها في الإتقان مجملة ثم ذكر تفصيلها، وقد صرح في كتابه "تناسق الدرر في تناسب السور" أن القاعدة الأساسية التي بُني عليها القرآن الكريم هي قاعدة التفصيل بعد الإجمال ، قال: "القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها ، وشرح له ، وإطناب لإيجازه ، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن ، طوّلها و قصيرها" ² .

تعد هذه القاعدة التي قررها السيوطي أساس انسجام الخطاب القرآني في نظره، وذلك أن التفصيل قد يتجاوز السورة الواحدة ، ويمتد إلى عدة سور كما هو الحال في سورة الفاتحة التي تمثل خلاصة مقاصد القرآن، فالبقرة تفصيل جميع مجملات الفاتحة، وآل عمران تفصيل مجملات البقرة ، والنساء شارحة لبقية مجملات البقرة ومتعلقة بالفاتحة وآل عمران، والمائدة شارحة لبقية مجملات البقرة ومتعلقة بالنساء، وبهذا تزيد قاعدة الإجمال والتفصيل من قوة انسجام القرآن الكريم ³ .

لقد فصل السيوطي العلاقة بين الفاتحة والسورة التي تليها باعتماده على القاعدة المذكورة، وهذا جل ما ذكره في ذلك :

. قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ : جاء تفصيله بالآيات التي وقع فيها الأمر بالذكر والدعاء والشكر من سورة البقرة، ومنها : قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (186) ﴿ . وقوله

¹ ينظر المصدر نفسه ج:2، ص 696 .

² جلال الدين السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 65 .

³ ينظر فتحة بوسنة ، انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي مقارنة تداولية ، مخبر تحليل الخطاب تيزي وزو ، دار الأمل للنشر ، 2012 . ص 159 .

تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286) ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ (152) ﴾ ، فالسيوطي يرى أن هذه الآيات التي ذكر فيها الأمر بالذكر والدعاء والشكر ، جاءت تفصيلاً لقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾¹ .

. قوله تعالى: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ؛ تفصيله من البقرة قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) ﴾ ، وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29) ﴾ ، ولذلك افتتحها بقصة خلق آدم الذي هو مبدأ البشر ، وهو أشرف الأنواع من العالمين ، وكل ذلك شرح لإجمال ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾² .

. قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ مجمل شامل لجميع أنواع الشريعة الفروعية ، وقد فصلت في البقرة أبلغ تفصيل ، فذكر فيها: الطهارة والصلاة وكل ما يتعلق بها والجماعة والزكاة وأحكامها ، والصوم وأحكامه ، البر والحج ، والعمرة ، والبيع ، والميراث والوصية ، والنكاح والصداق والطلاق والخلع والرجعة ، والعدة والرضاع والنفقات ، والقصاص والديات وقاتل البغاة والردة والجهاد ، والأطعمة والأشربة والذبائح ، والإيمان والنذور والقضاء والشهادات والعنق ، فهذه أبواب الشريعة كلها مذكورة في البقرة³ .

¹ ينظر تناسق الدرر في تناسب السور ، ص 65 - 66 .

² ينظر: السيوطي تناسق الدرر ، ص 66 .

³ ينظر المصدر نفسه ، ص 67 .

. قوله: ﴿وَأَيُّكَ نَسْتَعِينُ (5)﴾ شامل لعلم الأخلاق، وقد ذكر منها في هذه السورة: التوبة، والصبر، والشكر، و الرضى، والتقويض، والذكر، والمراقبة، والخوف¹ .

. قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾ . قال السيوطي: " تفصيله ما وقع في السورة من ذكر طريق الأنبياء ومن حاد عنهم من النصارى، ولهذا ذكر في الكعبة أنها قبله إبراهيم، فهي من صراط الذين أنعم عليهم ، وقد حاد عنها اليهود والنصارى معا، ولذلك قال في قصتها: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) ﴾ تنبيهها على أنها الصراط الذي سألو الهداية إليه"² . ثم يعقب السيوطي على ذلك قائلا: " ثم ذكر : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ 145. وهم المغضوب عليهم والضالون الذين حادوا عن طريقهم، ثم أخبر بهداية الذين آمنوا إلى طريقهم، ثم قال : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (213) . فكانت هاتان الآيتان تفصيل إجمال ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) ﴾ إلى آخر السورة ... وكذلك قوله: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (136) فيه تفصيل النبيين المنعم عليهم"³.

إن علاقة الإجمال والتفصيل تعد من أهم العلاقات الدلالية التي اعتمد عليها السيوطي لبيان كيفية انسجام النص القرآني .

يتبين لنا من خلال هذا العرض أن كتاب "الإتيان في علوم القرآن" يضم العديد من مظاهر التماسك النصي ، على مختلف المستويات اللغوية: الصوتي،

¹ ينظر المصدر نفسه ، ص 67 .

² المصدر نفسه :ص 67 .

³ المصدر السابق : ص 67 - 68 .

والمعجمي، والتركيبي، والدلالي ، وهذه المستويات تتضافر للوصول إلى التماسك الكلي للقرآن الكريم ، وأغلب مظاهر هذا التماسك خاضع لسياق النص القرآني .



خاتمة :

بعد دراسة كتاب "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي، وبالاعتماد على المبادئ التي قدمتها اللسانيات النصية، وصل البحث إلى عدة نتائج نجملها في الآتي :

. التراث العربي غني بالعديد من الممارسات النصية التي تقترب من منهج لسانيات النص الحديثة، وخاصة مؤلفات علوم القرآن التي تستعمل العديد من المصطلحات التي تعد من صميم البحث النصي مثل: السبك، الحبك، الاتساق، الانسجام، الترابط، المناسبة، السياق ... وهذا ما أدى إلى وجود تقاطع بين اللسانيات النصية وعلوم القرآن، وذلك أن موضوع كل من الدراستين هو النص، إلا أن الفرق بينهما كون الأولى تعتمد على نصوص بشرية، وأما الثانية فتعتمد على نص إلهي مقدس .

. يعتمد السيوطي على السياق الخارجي للنص القرآني المتمثل في أسباب ومعرفة المكي والمدني من أجل فهمه وإدراك معاني القرآن الكريم وبيان مناسبة الآيات والصور .

. للسياق دور كبير في بيان دلالة النصوص وإيضاح معانيها عند علماء القرآن؛ ورغم استعمالهم للفظ إلا أنهم لم يحددوا مفهومه بدقة، وقد اجتهد الدارسون في العصر الحديث لتحديد مفهومه عند القدماء واختلفوا في ذلك، وقد لخص الدكتور "ردة الله الطلحي" مفهومه عند علماء القرآن في ثلاث أمور هي : الغرض من السورة ، تتابع الألفاظ وتواليها أو ما يعرف حديثا بالسياق الداخلي للنص ، السياق الخارجي المتمثل في أسباب النزول والمكي والمدني .

. عالج السيوطي قضية ارتباط النص القرآني من خلال علم المناسبات الذي يمثل أحسن تمثيل قضية التماسك النصي في التراث العربي ، وقسم المناسبة إلى عدة أنواع : مناسبة بين الألفاظ ، ومناسبة بين الآيات ، ومناسبة بين السور .

. يهتم علم المناسبات بالكشف عن الترابط القائم بين الألفاظ، وبين الآيات ، وبين السور .

. كشف البحث عن الدور الذي يؤديه السياق في بيان أوجه المناسبة والارتباط بين الآيات داخل السورة الواحدة عند السيوطي في الإتيان .

. تعد أسباب النزول من العوامل الرئيسية التي ساعدت السيوطي في الكشف عن أوجه الترابط بين الآيات .

. يتحقق التماسك النص من خلال الإتيان في علوم القرآن على مختلف مستويات التحليل اللغوي : الصوتي ، المعجمي ، والتركيبية ، الدلالية .

. يتحقق الاتساق النص في الإتيان على المستوى الصوتي بعدة مظاهر منها: انسجام الفواصل القرآنية، والجناس، أما على المستوى المعجمي فيتحقق بالتكرار والمقابلة والطباق ، وعلى المستوى التركيبي فإنه يتحقق بالعطف والإحالة بالضمائر والحذف.

. يساهم السياق في معرفة مرجع الضمائر ، كما يساهم في تقدير المحذوف من النص .

. يتحقق الانسجام النصي على المستوى الدلالي، بالاعتماد على عدة مبادئ يتضمنها الإتيان هي: معرفة السياق، وفواتح السور، وموضوع الخطاب، وعلاقة الإجمال والتفصيل .

قَالَ لَهُ الْمَلَأُ مَاذَا تُرِيدُ قَالَ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ بِكُمُ الْعِزَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكُمْ لَعِندَهُ ذَاكُمُ السَّاعَةُ يَوْمَ يَخْرُجُ السَّاعِدُ وَالْقَارُ عَلَى رَبِّكَ أَتَى الْقَارُ عَلَى الْبَارِ

- . القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .
- . إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، المكتبة الإسلامية للنشر ، ط2.
- . أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق القاهر (مصر) ط2001، 1م.
- . أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة إتحاد الكتاب العرب 1423هـ / 2002 م.
- . أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب لقاهرة ، ط1998، 5م.
- . أحمد مصطفى الأسطل: أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني، رسالة ماجستير في علم اللغة الحديث ، كلية الآداب الجامعة الإسلامية بغزة (1432هـ، 2011م).
- . أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط2005، 2م.
- . الأزهر الزناد: نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، مركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.
- . أبو إسحاق الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، ضبطه واعتنى به محمد عبد الله دراز، دار العارف بيروت ط2 ، (1395هـ، 1975م).
- . إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة للنشر، المملكة العربية السعودية ، ط2، (1420هـ، 1999م).
- . إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: مدخل إلى علم اللغة ، مطبعة دار الكتاب نابلس (فلسطين) ، ط1992، 1م.
- . أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)أعده عدنان درويش ومحمد المضري، مؤسسة الرسالة للنشر ،بيروت (لبنان) ط2، 1419 هـ / 1998م.

- . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (مصر) ط3، (1404هـ، 1984م).
- . برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (مصر).
- . بشير إبرير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول 2007م.
- . تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب) ط1، 1994م.
- . تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث: أثر السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، رسالة ماجستير تخصص التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى (1428هـ-2007م).
- . جار الله محمد بن عمر الزمخشري:
- . الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجد، الرياض ط1، 1998م.
- . أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.
- . جلال الدين السيوطي:
- . الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق أبو الحسن مصطفى ديب البغا، دار الهدى عين مليلة (الجزائر).
- . لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط1، 1422هـ/2002م.

- . تناسق الدرر في تناسب السور ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، ج 2 ، ط1 ، 1406هـ / 1986 م .
- . الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجرة للدراسات العربية و الإسلامية ، القاهرة مصر ، ط1 ، 1424هـ ، 2003م .
- . جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد (العراق) ط1، 1987 .
- . حازم سعيد حيدر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان . دراسة مقارنة . دار الزمان للنشر ، المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) 1420هـ
- . حسام أحمد فرج: نظرية علم النص ، رؤية منهجية في بناء النص النثري ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط2، 2002م
- . حسن ضياء الدين عنز: مقدمة تحقيق كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لعبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ) ، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان ، ط1، (1408هـ / 1987م)
- . خالد عثمان السبت: كتاب مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقديم ، دار ابن عفان للنشر .
- . الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق مهدي المخزومي ، إبراهيم السمرائي .
- . خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير للنشر ، عمان (الأردن) ط1، (1430هـ . 2009م).
- . خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات دار القصبة للنشر، الجزائر ط2، 2010م.
- . دومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب ، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة تونس 2008م
- . ردة الله بن ردة الطلحي: دلالة السياق ، منشورات جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1424هـ.
- . رشيد عمران: مسار التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص (لسانيات النص وتحليل الخطاب ، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، الجمعية

- المغربية للسانيات النص وتحليل الخطاب ،جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،أغادير/ المملك المغربية)، دار كنوز للنشر عمان (الأردن) ط1،(1434هـ،2013م).
- . روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء ،ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة،ط1،1481هـ / 1998م.
- . زيتسلاف و أورزنيك: مدخل إلى علم النص(مشكلات بناء النص)ترجمة سعيد بحيري،مؤسسة المختار للنشر ،القاهرة ،ط2003،1م.
- . سعد مصلوح: نحو أجرمية للنص الشعري ،دراسة في قصيدة جاهلية ،مجلة فصول مجلد 10 ،عدد 1-2 (م1991).
- سعيد بحيري :
- . علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، الشركة المصرية لونجمان،مصر،1997م.
- . اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص ، مجلة علامات النادي الأدبي الثقافي ،جدة (المملكة العربية السعودية) ج38، م10،رمضان 1421 هـ ، ديسمبر 2000م.
- . سعيد بولنوار: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي ، تحديد المفاهيم النظرية ، رسالة دكتوراه ،إشراف لبوخ بوجملين ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، (2011-2012م)،
- . سيد قطب: في ظلال القرآن ، دار الشروق القاهرة (مصر) ط32،(1423هـ- 2003م)
- . صبحي إبراهيم الفقى: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية في السور المكية ، دار قباء، القاهرة ط2000، 1 م
- . صلاح الدين أرقدان: مختصر الإتقان، دار النفائس بيروت لبنان، ط1، (1407هـ/1987م).
- . صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ،سلسلة عالم المعرفة عدد164،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،1992م.
- . الطيب العزالي قواوة: الانسجام النصي وأدواته ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد الثامن 2012.

- . **عبد الجليل منقور**: علم الدلالة ، أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق (سوريا) ط1، 2001م.
- . **عبد الرحمن بودرع**: في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية 2013/02/16م، جامعة الملك سعود.
- . **عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري**: السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير ، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، جامعة أم القرى كلية أصول الدين 2008م .
- . **عبد الرحمن بن ناصر السعدي**: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، دار الإمام مالك ، باب الواد (الجزائر)، ط1، (1430هـ-2009م).
- . **عبد القاهر الجرجاني**: دلائل الإعجاز ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر .
- . **عبد الكريم الكردي**: قراءة النص مقدمة تاريخية ، مكتبة الآداب القاهرة (مصر) ط1، 2008 م .
- . **عبد الله بن مقبل بن ظافر القرني**: المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، قسم الكتاب والسنة ، 1412. 1413 هـ .
- . **عزة شبل**: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة (مصر)، ط 2، 2009م .
- . **علي التهانوي**: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق علي دحروج مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت (لبنان) ط1، 1996م
- . **علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني**: معجم التعريفات ، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة.

- . عمر أبو خرمة: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى ، عالم الكتب الحديث إريد (الأردن)، ط1، (1425هـ/2004م)
- . عيسى جواد الوداعي: التماسك النصي ،دراسة تطبيقية في نهج البلاغة ،رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ،2005م.
- . فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، عمان الأردن، ط4، 2006م.
- . فاندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1950م.
- فان ديك علم النص :
- . مدخل متعدد الاختصاصات ، ترجمة سعيد بحيري ،دار القاهرة للكتب (مصر) ط2001، 1م.
- . النص بُنى ووظائف ، مدخل أولي إلى علم النص ،ترجمة منذر عياشي،العلاماتية وعلم النص ،المركز الثقافي العربي ،الدار لبيضاء (المغرب) ط2004، 1م،
- . فتيحة بوسنة: انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي مقارنة تداولية مخبر تحليل الخطاب تيزي وزو ، دار الأمل للنشر ، 2012 .
- . فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض (السعودية) ط14، (1426هـ ، 2005م).
- . فولفجانج هاينيه: مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة فالح بن شبيب العجمي ، مطابع جامعة الملك سعود (1419هـ / 1999م).
- . المثني عبد الفتاح محمود: نظرية السياق القرآني ،دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، دار وائل للنشر ،عمان (الأردن) ط1، 2008م.
- . محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ،منشورات الاختلاف،الجزائر ،ط1، 1429هـ/2008م

- . محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية: بدائع الفوائد ، تحقيق محمد علي بن محمد العمراني، دار علم الفوائد للنشر (المجمع الفقهي الإسلامي جدة) العربية السعودية .
- . محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردويه البخاري: صحيح البخاري ،تخرجه وضبطه ونسق حواشيه صدقي جميل العطار،دار الفكر بيروت لبنان 2007م ج 3.
- . محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م .
- . محمد أبو زيد: الترجيح بين دلالة السياق وسبب النزول، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد 3-4، 2012م.
- . محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- . محمد عامر محمد: أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني ،أطروحة دكتوراه في فلسفة اللغة وآدابها ،جامعة الكوفة (1432هـ 2011م).
- . محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،دار النهضة العربية، بيروت (لبنان).
- . مسعود بودوخة: السياق والدلالة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف (الجزائر) ط1، 2012 م .
- . مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ،رسالة دكتوراه في لسانيات النص ،إشراف زبيري سعدي و الحواس مسعودي ، جامعة الجزائر 2007/2008م.
- . مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ، القاهرة (مصر) ط1، 1995م.
- . منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري حلب سوريا ط1، 2002م.
- . ابن منظور: لسان العرب، ضبط وتعليق خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث الجزائر. ط1، 2008م.

. نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) المركز الثقافي العربي بيروت ، ط1998، 4م .

نعمان بوقرة :

. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية ، جدار للكتاب العلمي، عمان (الأردن) ، ط2009، 1م.

. مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب ، عالم الكتب الحديث ، إربد (الأردن) ط2008، 1م.

. نوال لخلف: الانسجام في القرآن الكريم . سورة النور أنموذجا . رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، إشراف محمد العيد رتيمة ، جامعة الجزائر (2006/2007م).

. هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، دار الأمل للنشر ، الأردن، ط1، (1427هـ - 2007م).

. يوسف نور عوض: علم النص ونظرية الترجمة ، دار الثقة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة (السعودية) ط1410، 1هـ .

الحمد لله
الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا
هدى الله لنا

مقدمة أ. و

مدخل : لسانيات النص و علوم القرآن..... 27.7

تمهيد..... 8

أولا : لسانيات النص 9

أ . مفهوم لسانيات النص 9

ب . نشأة لسانيات النص..... 10

ثانيا : مفهوم النص 14

أ . النص في التراث العربي 14

ب . النص في الدراسات النصية الحديثة..... 15

ثالثا : علوم القرآن..... 21

أ . مفهوم علوم القرآن 21

ب . علوم القرآن ولسانيات النص 22

رابعا : الإتيقان في علوم القرآن 25

أ . جلال الدين السيوطي 25

ب . الإتيقان 26

الفصل الأول : السياق القرآني والتماسك النصي 60.28

المبحث الأول : مفهوم السياق 29

أ . لغة..... 29

ب . في درس اللساني الحديث 30

المبحث الثاني : السياق عند علماء القرآن..... 33

أ . السيوطي..... 36

ب . الزركشي..... 39

ج . ابن كثير 41

د . عناصر السياق القرآني..... 42

المبحث الثالث : أنواع السياق القرآني : 44

أ . السياق الداخلي : * سياق القرآن 44

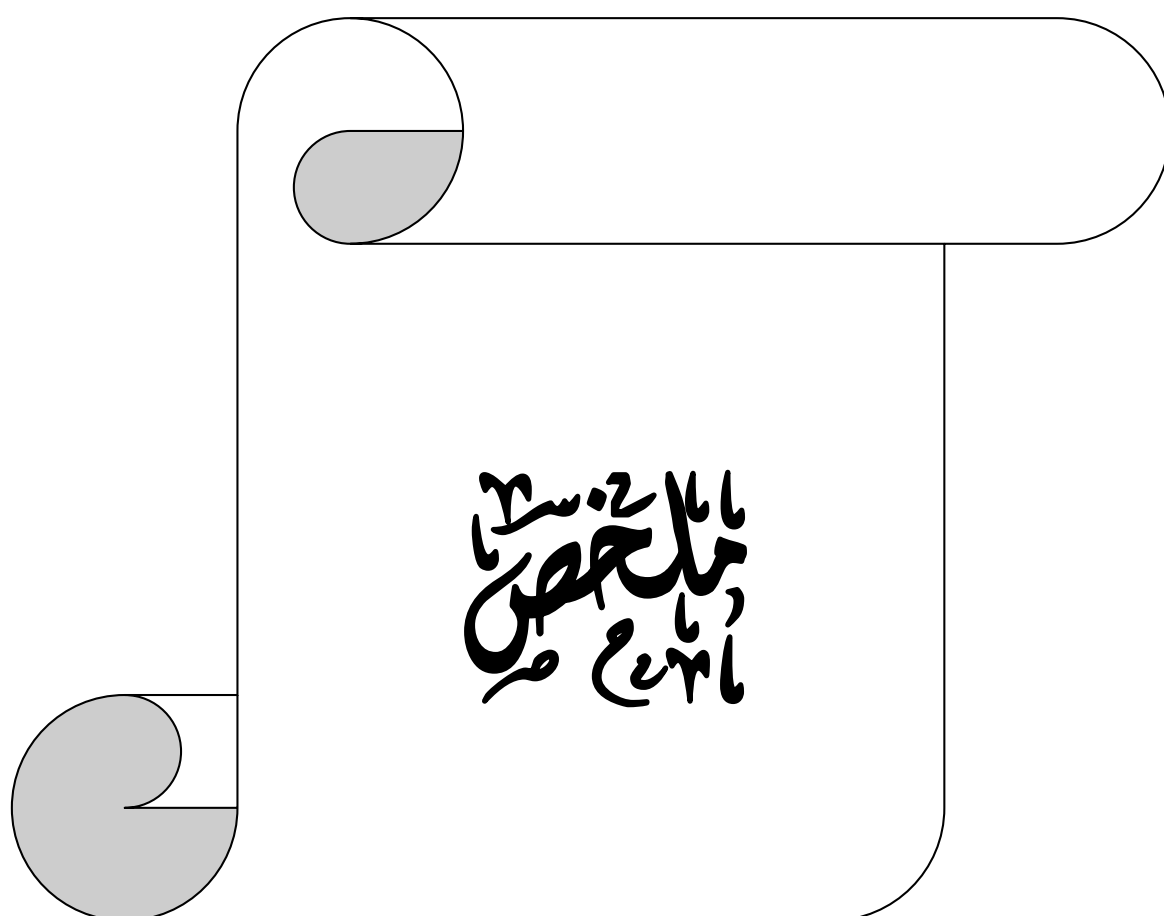
45.....	* سياق السورة.....
46.....	* سياق المقطع
47.....	* سياق الآية
48.....	ب . السياق الخارجي
50.....	المبحث الرابع : التماسك النصي:.....
50.....	أ . مفهومه أقسامه.....
50.....	*الاتساق
54.....	* الانسجام
55.....	ب . دور السياق والمتلقي في الحكم على التماسك النصي
59.....	ج . التماسك النصي من خلال علوم القرآن.....
97.61.....	الفصل الثاني : أثر السياق في بيان مناسبة الآيات والصور في الإتقان (تطبيقي)
62	المبحث الأول : علم المناسبات
62.....	أ . مفهوم المناسبة
63.....	ب . أهميتها
64.....	ج . أشهر من أُلّفَ في المناسبات
66.....	المبحث الثاني : علاقة المناسبة بالسياق.....
66.....	أ . سياق السورة
67	ب . فاتحة السورة.....
69.....	ج . مراعاة حال المتلقي
71.....	المبحث الثالث : المناسبة بين الألفاظ
71.....	أ . مناسبة الألفاظ لبعضها
72.....	ب . مناسبة الألفاظ لمعانيها
75	المبحث الرابع: المناسبة بين الآيات
75	أ . الجمل المعطوفة
76.....	ب . الجمل غير المعطوفة :
84.....	المبحث الخامس : المناسبة داخل السورة الواحدة
84	أ . مناسبة فاتحة السورة لخاتمها :

- ب . مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه : 86
- ج . مناسبة اسم السورة لموضوعها 88
- د . مناسبة فاتحة السورة لموضوعها 88
- المبحث السادس : المناسبة بين السور 90
- أ . مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها : * في اللفظ 91
- * في المعنى 92
- ب . علاقة المقابلة بين السوريتين 93
- ج . المناسبة الصوتية بين آخر السورة وفاتحة التي تليها 93
- د . المناسبة بين مطالع السور : 93
- * المناسبة بين الحواميم 94
- * المناسبة بين سورتي النساء والحج 95
- * المناسبة بين الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر 96
- * المناسبة بين مطلع الإسراء ومطلع الكهف 97

الفصل الثالث: مظاهر تماسك النص القرآني في الإتقان وتأثرها بالسياق (تطبيقي) ... 132-98

- المبحث الأول : المستوى الصوتي: 99
- أ . تناسب الفواصل 99
- ب . الجناس 102
- ج . التعدد 103
- المبحث الثاني : المستوى المعجمي 104
- أ . التكرار 104
- ب . التضام : 109
- المبحث الثالث : المستوى التركيبي 111
- أ . العطف 111
- ب . مرجع الضمير 112
- * مرجعية داخلية (قبلية ، بعدية) 113
- * مرجعية خارجية 114
- ج . الحذف 115

المبحث الرابع : المستوى الدلالي.....	120
أ . السياق	121
ب . التغيريض.....	124
ج . موضوع الخطاب	126
د . علاقة الإجمال والتفصيل	128
خاتمة.....	134.135
قائمة المصادر والمراجع	137.144
الفهرس.....	146.149
ملخص	150 . 153



انطلقت هذه الدراسة من فكرة مركزية تبحث عن دور السياق في بيات تماسك النص القرآن من خلال ما قدمته علوم القرآن ، وقد وقع الاختيار على كتاب " الإتيان في علوم القرآن " للإمام جلال الدين السيوطي ليكون حقلا تطبيقيا لهذه الدراسة ، وذلك لكونه من أشمل الكتب المؤلفة في هذا المجال تنظيرا وتطبيقا ، ومن أجل معالجة هذه القضية كان عنوان الرسالة : " أثر السياق في التماسك النصي عند السيوطي من خلال كتاب الإتيان في علوم القرآن . دراسة في ضوء لسانيات النص . " .

اعتمدت في هذه الدراسة على ما قدمته اللسانيات النصية من مفاهيم وتحليلات من أجل تحقيق الهدف الرئيسي لها والمتمثل في العودة إلى التراث العربي للبحث عن ملامح بعض الدراسات النصية فيه ، خاصة وأن الحضارة العربية توسم بحضارة النص ، وقد كانت علوم القرآن أكثر الدراسات العربية اقترابا من هذا النص المركزي في التراث العربي ، فجاءت تحليلات علماء القرآن شاملة لكل مستويات التحليل اللغوي : الصوتي، المعجمي، التركيبي، الدلالي، وذلك بهدف الوصول إلى الدلالة العامة والفهم الصحيح لهذا النص المقدس .

سارت هذه الدراسة وفق خطة متدرجة تتكون من مقدمة ومدخل وفصل نظري وفصلين تطبيقيين وخاتمة :

المقدمة : كانت حديثا عن الإشكالية التي يعالجها البحث والمتمثلة في بيان دور السياق في التماسك النصي من خلال ما قدمه السيوطي في الإتيان ، والمنهج المعتمد في الدراسة .

أما المدخل فقد تضمن عرضا لمفهوم لسانيات النص ومراحل نشأتها وتطورها ، ثم عرضا لمفهوم النص في التراث العربي وفي الدراسات اللسانية الحديثة الغربية والعربية ، كما تطرقت فيه إلى مفهوم علوم القرآن وعلاقتها بلسانيات النص ، ثم قدمت لمحة موجزة عن مدونة البحث وصاحبها .

أما الفصل الأول : كان بعنوان السياق القرآني والتماسك النصي : تحدثت فيه عن مفهوم السياق في المعاجم اللغوية والدراسات للسانية الحديثة ، ورأي علماء القرآن فيه ، ثم أنواع السياق القرآني ، لأننتقل بعد ذلك إلى بيان مفهوم التماسك النصي وأنواعه وأدواته وعلاقته بالسياق ، وختمت هذا الفصل بمبحث تحدثت فيه عن بيان قضية التماسك النصي من خلال ما قدمته علوم القرآن ، وقد تجلى ذلك في علم المناسبات .

أما الفصل الثاني : كان فصلا تطبيقيا تحدثت فيه عن علم المناسبات الذي يمثل قضية التماسك النصي في " الإتيقان " ، وقد اقترن علم المناسبات بالسياق القرآني(النصي و المقامي) فكان له أثر في بيان أوجه المناسبة بين أجزاء القرآن (الألفاظ ، الآيات ، السور) وقد جاءت معظم المناسبات بين هذه الأجزاء مبنية على السياق النصي أو المقامي المتمثل في أسباب النزول .

أما الفصل الثالث : فهو فصل تطبيقي أيضا بحثت عن مظاهر التماسك النصي من خلال ما قدمه السيوطي في الإتيقان وأثر السياق في هذه المظاهر ، وقد جاء هذا الفصل مقسما حسب مستويات التحليل اللغوي: الصوتي ، المعجمي ، التركيبي ، الدلالي ، و تتبعت فيه تأثير السياق في اتساق النص القرآني وانسجامه حسب هذه المستويات من خلال ما ورد في الإتيقان .

أما الخاتمة فقد كانتا عرضا لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وهذه أهمها :

. التراث العربي غني بالممارسات النصية التي تقترب من منهج لسانيات النص وخاصة علوم القرآن التي تستعمل العديد من المصطلحات التي تعد من صميم البحث النصي .

. اعتماد السيوطي على السياق الخارجي للنص القرآن المتمثل في أسباب النزول من أجل فهم و إدراك معاني القرآن الكريم وبيان مناسبات الآيات والسور .

. معالجة السيوطي لقضية ارتباط النص القرآني من خلال علم المناسبات الذي يمثل التماسك النصي في التراث العربي .

. اهتمام علم المناسبات بالكشف عن الترابط القائم بين الألفاظ ، وبين الآيات ، وبين السور .

. كان للسياق دور بارز في بيان أوجه المناسبة والارتباط بين الآيات، حيث اعتمد السيوطي على أسباب النزول لبيان تلك المناسبات .

. يتحقق التماسك النصي من خلال ما قدمه السيوطي في الإتيان على مختلف مستويات التحليل اللغوي: الصوتي ، المعجمي ، التركيبي ، الدلالي .

. يتحقق الاتساق النص في الإتيان على المستوى الصوتي بعدة مظاهر منها: انسجام الفواصل القرآنية، والجناس، أما على المستوى المعجمي فيتحقق بالتكرار والمقابلة والطباق ، وعلى المستوى التركيبي فإنه يتحقق بالعطف والإحالة والحذف.

. يساهم السياق في معرفة مرجع الضمائر ، كما يساهم في تقدير المحذوف من النص .

. يتحقق الانسجام النصي على المستوى الدلالي، بالاعتماد على عدة مبادئ يتضمنها الإتيان هي: معرفة السياق، وفواتح السور، وموضوع الخطاب، وعلاقة الإجمال والتفصيل .